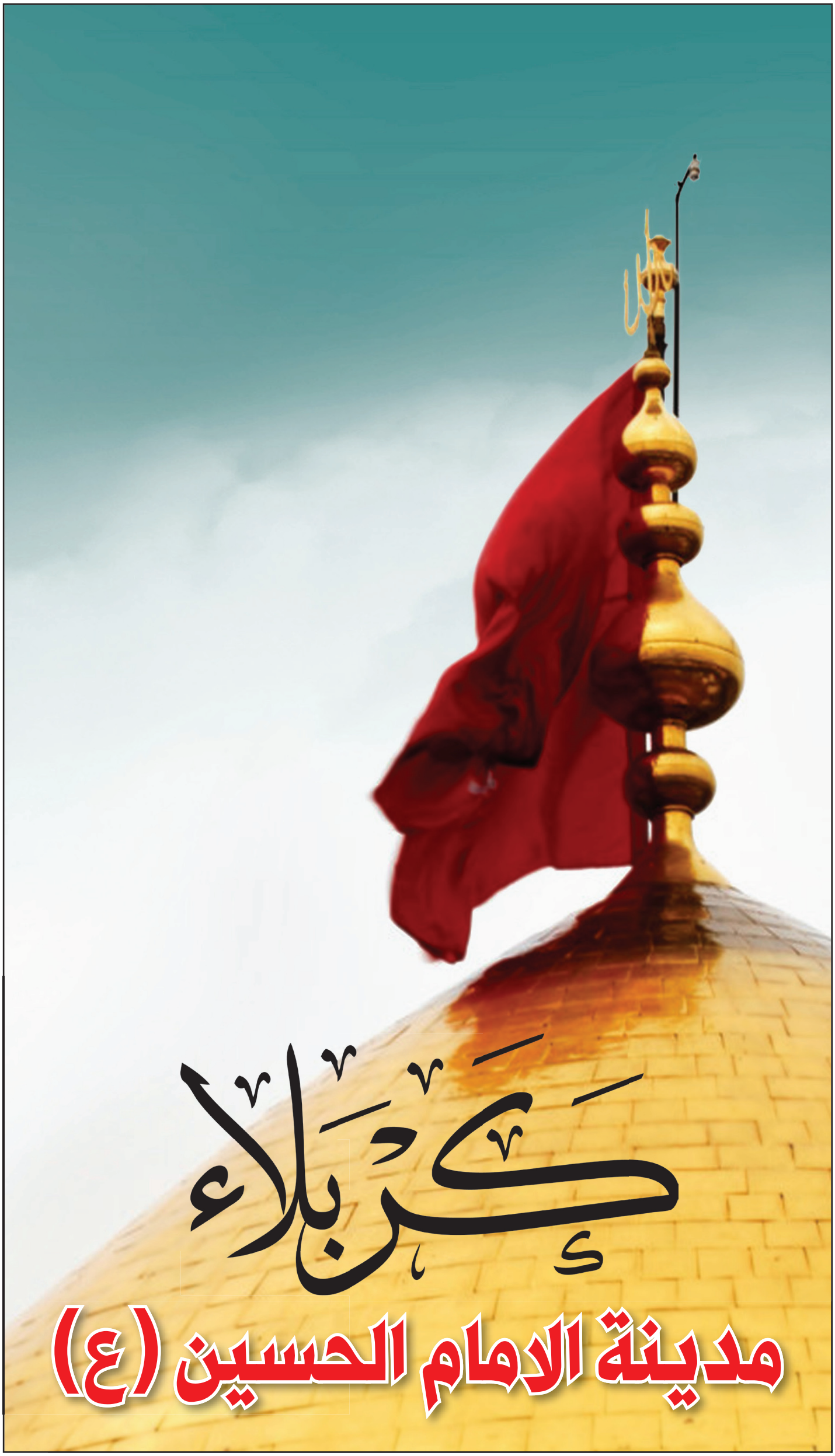

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (1987) السنة الثامنة
الإثنين (13) كانون الاول 2010

4

مرقد الإمام الحسين (ع) في كربلاء

من أين جاءت تسمية كربلاء؟

د. مصطفى جواد

معنى كربلاء: ذكر السيد العلامة هبة الدين الشهرستاني أن (كربلاء) منحوتة من كلمتي (كور بابل) بمعنى مجموعة قرى بابلية (١) وقال الأديب اللغوي (انستاس الكرملي): والذي نتذكره فيما قرأناه في بعض كتب الباحثين أن كربلاء منحوتة من كلمتين من (كرب) و(إل) أي حرم الله أو مقدس الله.

(٢) قلنا: إن رجع الأعلام الأعجمية إلى أصول عربية كان ديدنا لعلماء اللغة العربية منذ القديم. وأنا أرى محاولة ياقوت الحموي رد (كربلاء) إلى الأصول العربية غير مجدية، ولا يصح الاعتماد عليها، لأنها من باب الظن والتخمين، والرغبة الجامحة العارمة في إرادة جعل العربية مصدراً لسائر أسماء الأمكنة والبقاع، مع أن موقع كربلاء خارج عن جزيرة العرب، وان في العراق كثيراً من البلدان ليست أسماؤها عربية كـ (بغداد) و(صرورا) و(جوخا) و(بابل) و(كوش) و(بعقوبا) ، وان التاريخ لم ينص على عروبة اسم (كربلاء) فقد كانت معروفة قبل الفتح العربي للعراق وقبل سكنى العرب هناك وقد ذكرها بعض العرب الذين رافقوا خالد بن الوليد القائد العربي المشهور في غزوته لغربي العراق سنة ١٢ هجرية ٦٣٤م . قال ياقوت الحموي: (ونزل خالد عند فتحه الحيرة كربلاء فشكا إليه عبد الله بن وشيمة النصري (٣)الذبان : فقال رجل من أشجع في ذلك : قد حُبست في كربلاء مطيتي وفي العين(٤) حتى عاد غثا سمينها إذا رحلت من منزل رجعت له لعمري وايها انني لأهينها ويمنعها من ماء كل شريعة رفاق من الذبان زرق عيونها (٥) ومن اقدم الشعر الذي ذكرت فيه كربلاء قول معن بن اوس المزني من مخضرمي الجاهلية والاسلام وعمر حتى ادرك عصر عبد الله بن الزبير وصار مصاحباً له، وقد كف بصره في آخر عمره. وذكر ياقوت الحموي هذا الشعر في (النوائح) من معجمه للبلدان. و(المعبر) وذكره قبله ابو الفرج الاصبهاني في ترجمة معن من الاغاني (١٢: ٦٣ دار الكتب) وقال وهي قصيدة طويلة: هي حلت كربلاء فعلها فجوز العذيب دونها فالنوائحا وقال في كلامه على الكوفة: قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: لما فرغ سعد بن أبي وقاص من وقعة رستم بالقادسية وضمن أرباب القرى ما عليهم بعث من أصحابهم ولم يسمهم حتى يرى عمر فيهم رأيه، كان الدهاقين ناصحوا المسلمين، ودلوهم على عورات فارس، واهدوا لهم واقاموا لهم الاسواق. ثم توجه سعد نحو المدائن الى يزدجرد وقدم خالد بن عرفطة حليف بني زهرة بن كلاب، فلم يقدر عليه سعد حتى فتح خالد ساباط المدائن، ثم توجه الى المدائن فلم يجد معابر فدلوه على مخاضة عند قرية الصيادين اسفل المدائن فأخاضوها الخيل حتى عبروا، وهرب يزدجرد الى اصطخر، فأخذ خالد كربلاء عنوة وسبى أهلها، فقسمها سعد بين اصحابه، ونزل على قوم في الناحية التي خرج سهمة فأحيوها، فكتب بذلك سعد الى عمر، فكتب اليه عمر ان حولهم. فحولهم الى سوق حكمة ويقال الى كويفة ابن عمر دون الكوفة...). ولقائل ان يقول : إن العرب أوطنوا تلك البقع قبل الفتح العربي، فدولة المناذرة بالحيرة ونواحيها كانت معاصرة للدولة الساسانية الفارسية وفي حمايتها وخدمتها. والجواب: ان المؤرخين لم يذكروا لهم انشاء قرية سميت بهذا الاسم – اعني كربلاء غير ان وزن كربلاء الحق بالاوزان العربية ونقل (فعللا) (فعلاء) في الشعر حسب. فالاول موازن لجحجحى وقرقرى وقهقرى والثاني موازن لعقرباء وحرملاء، زيد همزة كما زيد برنساء. أما قول الأب اللغوي انستاس ما معناه : أن كربلاء منحوتة من (كرب) و(ال) ، فهو داخل في الإمكان، لأن هذه البقاع قد سكنها الساميون وإذا فسرنا (كرب) بالعربية أيضا دل على معنى (القرب) فقد قالت العرب: (كرب يكرب كروباً أي دنا) وقالت (كرب فلان يفعل وكرب ان يفعل أي كاد يفعل، وكاد تفيد القرب، قال ابن مقبل يصف ناقته: فبعثتها تقص المقاصر بعدما كربت حياة النار للمتنور (٦) وقال ابو زيد الاسلمي: سقاها ذوو الارحام سجلاًعلى الطما وقد كربت اعناقها ان تقطعا (٧) وجاء في لسان العرب : كرب الامر كروبا: دنا ... وكل شيء دنا فقد كرب، وقد كرب ان يكون وكرب يكون وكربت الشمس للمغيب: دنت. فكرب البابلية قريبة من العربية. وإذا فسرنا (ال) كان معناه (اله) عند الساميين أيضا، ودخول تفسير التسمية في الإمكان لا يعني أنها هي التسمية الحقيقية لا غيرها، لان اللغة والتاريخ متعاونان دائماً فهي تؤيده عند احتياجه إليها وهو يؤيدها عند احتياجها إليه، فهل ورد في التاريخ إن موضع كربلاء كان (حرم اله) قوم من الأقوام الذين سكنوا العراق؟ أو مقدس اله لهم؟ لا يجيبنا التاريخ عن ذلك، ومن الأسماء المضافة إلى (ال) بابل واربل وبابلي(٨) وعلى حسبان (كربلا) من الأسماء السامية الآرامية أو البابلية، تكون القرية من القرى القديمة الزمان كبابل واربيل، وكيف لا وهي من ناحية (نينوى (٩) (الجنوبية ! قال ياقوت الحموي: (نينوى بكسر اوله وسكون ثانية وفتح النون والواو بوزن طيطوى.. وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء التي قتل بها الحسين، رضي الله عنه (١٠) وقال في كتاب له آخر: (نينوى موضعان: بكسر النون وياء ساكنة ونون اخرى مفتوحة وواو والف ممالة، نينوى بلد قديم كان مقابل مدينة الموصل. ونينوى كورة كانت بأرض بابل منها كربلاء التي قتل بها الحسين بن علي عليهما السلام- (١١) ونينوى من الاسماء الآشورية). ولا نشك في ان نينوى السفلى سميت باسم نينوى العليا إحدى عواصم الدولة الآشورية المشهورة في التاريخ، سميت اما لمعارضتها وأما لإدامة ذكراها، على عادة الناس في تسمية البلدة التي ينشئونها بعد المهاجرة من بلادهم والجلاء عنها ويسمونها باسم بلدتهم التي هاجروا منها. وهذا معروف قديما وحديثا، وهو من اجمل ضروب الوفاء، وان كان لغير الأحياء. ونقل بعض الفضلاء قول أحد الباحثين في تاريخ كربلاء

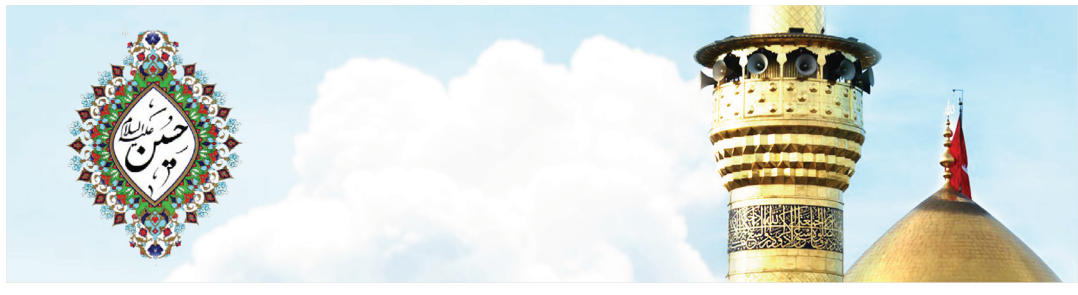

القديم وهو (كل (١٢) ما يمكن ان يقال عن تاريخها القديم أنها كانت من أمهات مدن طسوج النهرين الواقعة على ضفاف نهر بالاكوباس (الفرات القديم) وعلى أرضها معبد للعبادة والصلاة، كما يستدل من الأسماء التي عرفت بها قديماً كعمورا، ماريا، صفورا، وقد كثرت حولها المقابر، كما عثر على جثث موتى داخل اوان خزفية يعود تاريخا إلى قبل العهد المسيحي، وأما الأقوام التي سكنوها فكانوا يعولون على الزراعة لخصوبة (١٣) تربتها وغزارة مائها لكثرة العيون التي كانت منتشرة في أرجائها) (١٤) ومن المعلوم ان كربلاء ليست على ضفة الفرات ولا على ضفافه، فالقائل لو قال (كورة كربلاء) لكان القول علمياً. ومما يدل على قدم كربلاء أيضا ووجودها قبل الفتح الإسلامي ما ذكره الخطيب البغدادي بسنده الى أبي سعيد التيمي قال: (اقبلنا مع علي (ع) من صفين فنزلنا كربلاء، فلما انتصف النهار عطش القوم) وروى بعد ذلك بسنده أيضا عنه قال: (أقبلت من الانبار مع علي نريد الكوفة وعلي في الناس، فبينا نحن نسير على شاطي الفرات اذ لجج في الصحراء فتبعه ناس من أصحابه واخذ ناس على (١٥) شاطئ الماء ، فكنت ممن أخذ مع علي حتى توسط الصحراء، فقال الناس: يا أمير المؤمنين إنا نخاف العطش، قال: إن الله سيسقيكم، وراهب قريب منا، فجاء علي إلى مكانه فقال: احفروا هاهنا فحفرنا، وكنت فيمن حفر، حتى نزلنا . يعني عرض لنا حجر . فقال علي: ارفعوا هذا الحجر، فأعانونا عليه حتى رفعناه، فإذا عين باردة طيبة، فشربنا. فرجع ناس وكنت فيمن رجع، فالتمسناها فلم نقدر عليها، فقال الراهب: لا يستخرجها إلا نبي أو وصي ثم ذكر الخطيب بسنده إلى إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني أن (أبا سعيد التيمي) متروك الحديث وغير ثقة (١٦) والمهم من هذا الحديث أن الإمام عليا (ع) مرّ بكربلاء ولج في الصحراء قبل سنة أربعين الهجرية، ولم يذكر أحد من المؤرخين إنشاء مدينة باسم كربلاء في أثناء تلك السنين الأربعين، وهذا مرادنا بقولنا أنها غير إسلامية، وقد أشرنا إلى مثل هذا المعنى آنفا. وهذا الخبر نقلناه لتأييده وتأكيده (١٧) الطف : ومن المواضع التي عرفها العرب قديما قرب كربلا (الطف) قال ياقوت الحموي: (الطف بالفتح والفاء مشدده وهو في اللغة ما اشرف من ارض العرب على ريف العراق) . . . وقال أبو سعيد: (سمي الطف لأنه مشرف على العراق من اطف على الشيء بمعنى اطل، والطف طف الفرات أي الشاطئ والطف ارض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل الحسين بن علي . رضي الله عنه . وهي ارض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون ماء جارية منها الصيد والقطقطانة والرهيمة وعين جمل (١٨) وذواتها، وهي عيون كانت للموكلين بالمسالح (١٩) التي كانت وراء خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب وغيرهم وذلك ان سابور اقطعهم أرضها يعتملونها من غير ان يلزمهم خراجا، فلما كان يوم ذي قار ونصر الله العرب بنبيه . صلى الله عليه وآله وسلم . غلبت العرب على طائفة من تلك العيون وبقي بعضها في أيدي الأعاجم ثم لما قدم المسلمون الحيرة هربت الأعاجم بعد ما طمت عامة ما كان في أيديها منها، وبقي ما في أيدي العرب فأسلموا عليه وصار ما عمروه من الأرض عشرا، ولما انقضى أمر القادسية والمدائن وقع ما جلا عنه الأعاجم من ارض تلك العيون إلى المسلمين واقطعوه فصارت عشرية أيضا). جاء في معجم البلدان عدة معان للحائر أهمها قول الأصمعي: (يقال للموضع المطمئن الوسط المرتفع الحروف حائر وجمعه حوران) .. قال ابو القاسم علي بن حمزة البصريرادا على ثعلب في الفصيح: هو الحائر الا انه لا جمع له، لأنه اسم لموضع قبر الحسين بن علي . رضي الله عنه) .. . .

ثم ذكر ان كربلاء من مساكن العرب منذ الجاهلية، ولذلك سميت اكبر مدينة في هذا الصقع (عين التمر) وهذا الاسم المركب الإضافي يحتوي على اسمين عربيين خالصي العروبة فهل كانت تسمية الحائر قبل الإسلام ؟ وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان أيضا (يوم حائر ملهم) قال: (ويوم حائر ملهم أيضا على حنيفة ويشكر) فهذا الحائر كان جزيرة العرب، فيجوز فيه الأمران اعني انه سمي في الجاهلية بالحائر وانه سمي في الإسلام بهذا الاسم. وقد أطال الكلام مؤلف (تاريخ كربلاء) على الحائر وسمى كتابه (تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام) وقال: وهو بحث علمي تحليلي واسع عن الحائر المقدس وتاريخه في اللغة والتاريخ والفقه والحديث وثم تاريخ عمارته وهدمه من الصدر الأول إلى العصر الحاضر قال: (وقد نعتت كربلاء منذ الصدر الأول في كل من التاريخ والحديث بأسماء عديدة مختلفة ورد منها في الحديث باسم كربلاء الغاضرية ونينوى وعمورا وشاطئ الفرات وشط الفرات. وورد منها في الرواية والتاريخ أيضا باسم مارية والنواويس والطف وطف الفرات ومشهد الحسين والحائر والحير إلى غير ذلك من الأسماء المختلفة الكثيرة إلا إن أهم هذه الأسماء في الدين هو الحائر لما أحيط بهذا الاسم من الحرمة والتقديس أو أنيط (٢٠) به من أعمال وأحكام في الرواية والفقه إلى يومنا هذا. .) (٢١) وقد ذكرنا أن (الحائر) اسم عربي وان العرب سكنوا هذه البلاد منذ عصور الجاهلية، فلابد من ان يكون معروفا قبل استشهاد الحسين (ع) لأن هذه التسمية هي والحير والحيرة من اصل واحد، وقد قال ياقوت في كلامه على الحيرة. واكثره مذكور في تاريخ الطبري .: (وفي بعض أخبار أهل السير: سار اردشير (٢٢) ملك النبط وقد اختلفوا عليه وشاغبه ملك من ملوك النبط يقال له بابا فاستعان كل واحد منهما بمن يليه من العرب ليقاتل بهم آلاف فبنى الاردوان حيراً فأنزله من أعانه من العرب فسمي ذلك الحير الحيرة كما تسمى القيعة من القاع وانزل بابا من أعانه من الأعراب الانبار وخندق عليهم. .) . أما التسمية بشط الفرات وبشاطي الفرات فهي عامة لا خاصة فلا يجب اختصاصها بكربلاء والحائر وإنما سبيلها سبيل التحديد الشعري كقول الشاعر (وقد مات عطشاناً بشط فرات)، لان الشاعر لا يستطيع دوما من التعيين الجغرافي المحقق لالتزامه بالوزن والقافية. وأما (مارية) فلم يذكرها صاحب معجم البلدان، إلا بكونها اسماً لكنيسة بأرض الحبشة، وإنما ذكر (نهر ماري) قال: (بكسر الراء وسكون الياء، بين بغداد والنعمانية، مخرجه من الفرات وعليه قرى كثيرة منها همينيا وفمه عند النيل من أعمال بابل (٢٤) هوامش ـــــــــــ (١) كتاب نهضة الحسين (ع٩ (ص ٦٦ طبعة مطبعة دار السلام ببغداد ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م). (٢) لغة العرب مج ٥ص١٧٨سنة ١٩٢٧. (٣) او النضري وفي الاصل من طبعة مصر (البصري) وهو محال لأن البصرة لم تكن يومئذ قد مصرت، ولأن العرب القدامى في القرن الاول والقرن الثاني لم يكونوا ينتسبون الى المدن والاقطار بل الى الاباء والقبائل والافخاذ والعمارات والبطون. اما غير العرب فجائز فيهم كما في سرجويه البصري الطبيب (مختصر الدول لابن العبري (ص١٩٢) وفي تاريخ الطبري سنة ١٢ان القائل من اشجع. (٤) يعني عين التمر المعروف حصنها اليوم بالاخيضر. (٥) معجم البلدان في (كربلاء). (٦) مادة قصر من الصحاح، أي قرب انطفاؤها. (٧) الكامل للمبرد (ج١ص١٢٨ طبعة الدلموني الازهري. (٨) قال هلال الصابي: (وبنو الفرات من قرية تدعي بابلي صريفن من النهروان الاعلى)، (تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ص ١١ طبعة دار احياء الكتب العربية) وقال ذلك قبله الصولي (تاريخ بغداد لابن النجار. نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١و٢٤). (٩) تمييزاً لها عن نينوى الشمالية، إحدى عواصم الدولة الآشورية السامية ولا تزال أطلالها معروفة وسنعود الى ذكرها. (١٠) معجم البلدان في مادة (نينوى). (١١) المشترك وضعاً والمفترق صقعاً (ص٤٣٠). (١٢) في الاصل (كلما) مع ان (ما) هنا اسم موصول فهو في الخط مفصول. (١٣) الصواب (لخصب ارضها). (١٤) مدينة الحسين او مختصر تاريخ كربلاء للسيد محمد حسن مصطفى آل الكليدار ٠ص١. ٢). (١٥) أي ساروا من جهته وعلى موازاته. (١٦) تاريخ بغداد (١٢: ٣٠٥ . ٣٠٦). (١٧) وقد اطلق اسم كربلاء على غير موقع واحد قديم مما يدل على ان اسم كربلاء كان قديما وقبل الفتح الاسلامي وكانت تسمى بـ(كاربالا) على ما روي السيد عبد الحسين آل طعمة منقولا عن (الذريعة) للشيخ آغا بزرك، ومعنى (كاربالا) بالفهلوية هو (الفعل العلوي) ويجوز تفسيرها (بالعمل السماوي) المفروض من الاعلى، ثم عربت وصيغت صياغة عربية وسموها (كربلاء)، وهذا يقارب المعنى الذي ذهب اليه الاب انستاس لكلمة (كرب) و (إل) بانها (حرم الله) او (مقدس الله) ومن الادلة على قدم كربلاء او قدم الاكوار في تلك الجهات هو وجود اطلال وهضبات لم تزل قائمة على بعد بضعة اميال عن مدينة كربلاء، وقد جاء في (بغية النبلاء في تاريخ كربلاء) للسيد عبد الحسين آل طعمة قوله: « يوجد اليوم على ما بلغني على بعد بضع أميال في القسم الشمالي الغربي من مدينة كربلاء باتجاه ضريح (الحر بن يزيد الرياحي) في ارض القرطة والكمالية اكم اطلال قيل انها (كربلاء) الاصلية، وقبل سني الحرب العالمية الاولى كان بعض افراد من مطره يستخرجون من نفس الاطلال (طابوق، فرشي، ضخم، سلطاني) يحملونه على حميرهم الى كربلاء لبيعوه على الاهلين كوسيلة، للعيش والارتزاق » ويضيف المؤلف قائلا: « واذكر في هذا الخصوص ان السيد كاظم العطار كان مشغولا ببناء داره الواقعة في حارة باب الطاق مقابل (امام باره الاميرة تاج دار بهو الهندية) يبتاع منهم لبنائه » . وفي الجنوب الشرقي من البلدة قطعة ارض يطلق عليها اليوم لفظة « كربلة » وفي تعيين موقع كربلاء القديمة يقول السيد عبد الحسين: « فموقع كربلا على ضوء التحقيق الذي قمت به واقع على بعد بضعة اميال في الشمال الغربي من بلدة كربلاء الحالية مما يلي ارض (القرطه) وهو مكان مرتفع يسمى باصطلاح اليوم: الظهيرة او العرقوب، ويبعد موقعها عن قبر الحر بن يزيد الرياحي حوالي سبعة آلاف متر » الى غير ذلك من الآراء التي اوردها المؤرخون بالاضافة الى ما تقدم. (جعفر الخليلي). (١٨) ثم قال ياقوت « قالوا وسميت (عين جمل) لان جملاً مات عندها في حدثان استخراجها فسميت بذلك، وقيل ان المستخرج لها كان يقال له جمل، وسميت عين الصيد لكثرة السمك الذي كان بها » وانا ارى القول الثاني هو الصواب، ولو كان القول الاول هو الصواب لقيل لها « عين الجمل » كما هو ظاهر. (١٩) منها مسلحة الاخيضر العظيمة. (٢٠) الصواب « نيط الثلاثي » . (٢١) الدكتور عبد الجواد الكليدار (تاريخ كربلاء). . . ص ١٢. (٢٢) اردشير الاول مؤسس السلالة الساسانية حكم بين سنة ٢٢٤ وسنة ٢٤١ م. (٢٣) لعله ارطبان الرابع الارشاقي الفرتي من السلالات الفارسية الحاكمة ايضا حكم بين سنة ٢٠٩ وسنة ٢٢٧.

عن موسوعة العتبات المقدسة/ تحرير جعفر الخليلي .. الجزء الخاص بكربلاء

أخذت كربلاء أهميتها التاريخية منذ استشهاد الإمام الحسين في واقعة الطف بكربلاء عام 61 هـ/ 680م، حيث دفن في أرضها مع أهله وأصحابه، ولم تكن كربلاء، قبل هذا التاريخ غير ارض زراعية منبسطة مع بعض التلال والمنخفضات وقد دعيت كربلاء (الغاضرية)، كما سميت (الطف) لوقوعها على جانبي نهر العلقمي، وهو فرع من الفرات كان يسقي كربلاء قديما. وقد اندثر ومحيت آثاره، وكان نهر العلقمي يمر إلى الشمال الغربي، من المدينة حيث ضريح العباس بن علي الذي استشهد مع أخيه الإمام الحسين قربه.

مرقد الإمام الحسين (ع) في كربلاء

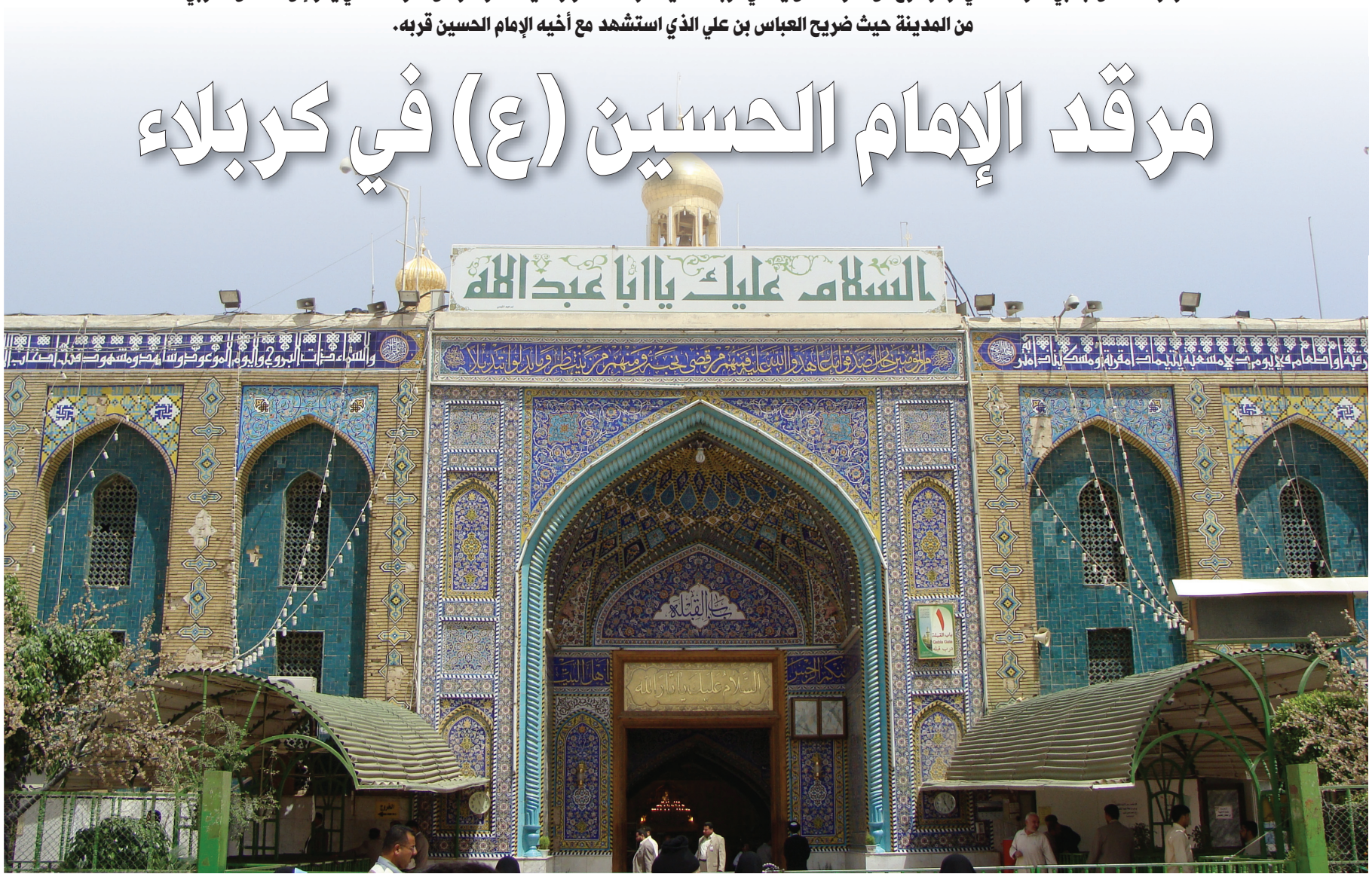

محمد الكرباس

من الناحية التاريخية كانت كربلاء عبارة عن مجموعة من القرى البابلية القديمة التي اندثرت وعفا عليها الزمن ولم يبق منها سوى أطلال وتلال وقد سميت آنذاك كربل وكرب ايلا، اي حرم الله باللغة البابلية، كما سميت كوربابل باللغة العربية، وقد عفرت ارض كربلاء بـ(تلول نينوى) اما الأطلال الواقعة في الشمال الشرقي منها فكانت مقبرة بابلية قديمة، والحائر هو موضع قبر الإمام الحسين، وهو من الحير اي الحمى، وقد سميت كربلاء والحائر أيضا لان الماء كان قد حار حول قبر الحسين على عهد المتوكل العباسي (٢٣٦هـ ٨٥١م) حين أمر بهدم قبر الحسين وإغراق المكان بالماء. وقد عرفت كربلاء أيضا بـ(ام القرى) لوقوعها على شاطئ (اكوباسي) وهو الاسم القديم لمجرى نهر الفرات القديم الذي يمر فيها، وقد عثر علماء الآثار في تلك المنطقة على هياكل عظيمة قديمة داخل أوان خزفية يعود تاريخها إلى السلالات البابلية المتأخرة، كما ازدهرت قرى كربلاء ايام الكلدانيين والتنوخيين واللخميين والمناذرة يوم كانت الحيرة عاصمة ملكهم.. ويشير المؤرخون إلى أن الذين دفنوا الامام الحسين واهل بيته واصحابه كانوا من تلك القرى القريبة، وهم الذين اقاموا لقبر الحسين رسما ونصبوا له علامة ورمزا، كما يذكر أن اول من زار قبر الحسين في كربلاء هو عبيد الله بن الحر الجعفي لقرب دياره منه، وبحسب الخطيب البغدادي، فان عبيد الله الجعفي حين وقف على المكان الذي دفن فيه الحسين استعبر باكيا ورثى الإمام بقصيدة ندرج بعضا من أبياتها..

يقول امير غادر وابن غادر
الا كيف قاتلت الشهيد ابن فاطمة
فوا ندمي ان لا اكون نصرته
الا كل نفس لاتسدد نادمه
وما ندمي ان لم اكن من حماته
لذوي حسرة ما ان تفارق لازمه
الى ان يقول:
سقى الله ارواح الذين تآزروا
على نصره سقيا من الغيث دائمه
وقفت على اجداثهم ومحالهم
فكاد الحشى ينفض والعين ساجمة

وكان الصحابي الضرير جابر بن عبد الله الأنصاري قد زار قبر الحسين في العشرين من صفر عام ٦٢هـ مع عدد من الأفراد وقابل في السنة نفسها الإمام علي ابن الحسين قرب القبر، وحينا وصل القبر قال: المسوني القبر، ثم بكى وترحم عليه.. وفي القرن الثاني للهجرة صرّد وبعض أتباعه من التوابين زاروا قبر الحسين وقضوا يوما وليلة بقربه. وكانت أم موسى، والدة الخليفة المهدي العباسي، من أوائل من صرف الأموال، في تاريخ مبكر، على القائمين بالعناية بالقبر. وخلال تولي أبي العباس السفاح الحكم في العراق كان المجال مفتوحا لزيارة قبر الحسين، غير أن هارون الرشيد ضيق الخناق على زوار القبر وقطع شجرة السدرة وكرب موضع القبر وهدم ما حوله من بيوت. وعندما تولى المتوكل العباسي الحكم كانت القبة قد أعيد بناؤها وكذلك بعض البيوت حولها، واخذ الزوار يتكاثرون لزيارة مشهد الحسين، مما اغضب المتوكل، فأمر بهدم القبر وما حوله من منازل، ومنع الناس من زيارته، ثم حرث أرضه وأفاض الماء عليه فحار حول القبر من كل جانب. غير أن المنتصر بن المتوكل العباسي أعاد بناء القبر عام ٢٤٧هـ/ ٨٦٢م، وأحسن الى اهل البيت وقربهم إليه وأجزل لهم العطاء، مما شجع بعض العلويين إلى الإقامة بالقرب من مشهد الحسين، وكان في مقدمتهم إبراهيم المجاب ابن محمد العابد ابن الإمام موسى الكاظم، وهو أول علوي وطأت قدماه ارض كربلاء بعد استشهاد الحسين وأول من استوطنها مع ولده، وكان ذلك عام ٢٤٧هـ/ ٨٦٢م.. وقد تفقد المنتصر العباسي مشهد الامام الحسين وأمر ببناء ضريح له وظل يرعاه، وأذن للزوار بزيارته. وبعد أن تداعت عمارة المنتصر قام بتجديدها محمد بن محمد بن زيد القائم، ثم قام الداعي العلوي بتشييد قبة على القبر عام ٢٨٠هـ/ ٨٩٦م، كان لها بابان، ثم بنى حولها سقفين، وأحاطهما بسور. وعند قيام الدولة البويهية قام عضد الدولة عام ٣٧٩هـ/ ٩٧٩ م، ببناء ضريح من العاج ذي أروقة وعليه قبة، ومع قيام الضريح الجديد بدأ بتشييد البيوت والأسواق حول المشهد، وقد أحيطت المدينة بسور كبير. وفي عام ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩ م، توفي أبو العباس الكافي، الوزير بالري، وكان قد أوصى قبل وفاته أن يدفن في كربلاء إلى جوار الإمام الحسين، فدفن هناك.. وقد قام الوزير ابن سهلان عام ٤٠٣هـ/ ١٠١٣ م، ببناء سور جديد حول المشهد، ثم قام السلطان السلجوقي ملك شاه ووزيره نظام الملك بتجديد السور عام ٤٧٩هـ/ ١٠٨٢م. وقد أصبحت كربلاء منذ القرن العاشر الميلادي عتبة مقدسة يتردد عليها كثير من المسلمين لزيارة الإمام الحسين والتبرك به، بعد أن ازدهرت فيها الزراعة والتجارة والعلوم والآداب. لقد وصف السائح العربي المعروف ابن بطوطة كربلاء عند زيارته لها عام ٧٢٦هـ/ ١٣٠٧ م، قائلا: زرت كربلاء في أيام السلطان سعيد بهادر خان بن خدابنده بعد أن تركت الكوفة سنة ٧٢٦ قاصدا مدينة الحسين، وهي مدينة صغيرة تحصنها حدائق النخيل ويسقيها الفرات، والروضة المقدسة داخلها، وعليها مدرسة عظيمة وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصادر، وعلى باب الروضة الحجاب والقومة، لا يدخل احد إلا بإذنهم فيقبل العتبة الشريفة وهي من الفضة، وعلى الأبواب أستار الحرير.. وعندما فتح الشاه اسماعيل الصفوي بغداد توجه الى كربلاء لزيارة قبر الامام الحسين وامر بتذهيب الضريح واهدى اثني عشر قنديلا من الذهب، كما أمر بصنع صندوق للقبر من الفضة دقيق الصنع، وقد تم نصبه عام ٩٣٢هـ/ ١٥٤٤م كما فرش الحضرة الحسينية بأنواع من المفروشات القيمة، وقد اعتكف الشاه اسماعيل الصفوي في حضرة الإمام ليلة ثم توجه لزيارة الإمام علي في النجف الاشرف. وضريح الإمام الحسين يقوم على مصطبة من الخشب المرصع بالعاج يعلوها مشبكان،

احدهما من الفولاذ الثمين، وهو الداخلي، والآخر من الفضة، وهو الخارجي الكبير، وتعلو الضريح الحسيني أوان، ومزهريات ذهبية مرصعة بالأحجار الكريمة، وفي كل ركن من أركان الضريح الأربعة رمانة من الذهب الخالص يبلغ قطرها نحو نصف متر.. والى جانب شباك الإمام الحسين الخارجي يقوم مشبك آخر لا يختلف عنه ولا يفصل بينهما سوى متر واحد وفي داخله قبر الإمام علي بن الحسين، الذي استشهد معه يوم عاشوراء، كما يوجد أمام المشبك مرقد آخر يضم رفات الآخرين الذين استشهدوا مع الإمام الحسين بوم عاشوراء. في بداية القرن السابع عشر الميلادي زار كربلاء الرحالة الاسباني بيدرو تكسيرا في العام ١٦٠٤م- ١٠٢٤هـ.. وقد وصفها ببلدة تحتوي على أربعة آلاف بيت، وسكانها من العرب، وبعض الإيرانيين والأتراك، وفي المدينة اسواق ذات بناء محكم بالطابوق وهي مملأى بالحاجات والسلع التجارية ويتردد عليها أناس كثيرون.. وقد بنيت فيها خانات عامرة تم بناؤها للزوار وهي من الأعمال الخيرية، وقد كتب تكسيرا عن الروضة الحسينية وذكر أهميتها الدينية وتوارد المسلمين لزيارتها من جميع الجهات كما تطرق إلى ذكر السقاة الذين يسقون الماء للناس في سبيل الله وطلبا للأجر والثواب او إحياء لذكرى الإمام الشهيد الذي قتل عطشان في هذه البقعة من الأرض، وكانت فيها امكنة ومخيمات كانت تنصب للزوار في موسم الزيارات الكبيرة. كما زار الرحالة الالماني المعروف كارستن نيبور في السابع والعشرين من كانون الأول عام ١٧٦٥م مدينة كربلاء، ويذكر نيبور بأن للبلدة خمسة أبواب في وسطها يقع المشهد الحسيني، وقد رسم نيبور مخططا تقريبيا استقى بتفصيلاته من ملاحظاته الخارجية وفي دخوله اليه في احدى الامسيات لفترة وجيزة، بصحبة (الملا بغدادي) الذي اصطحبه معه بعد أن تزيا بزي تركي ولبس عمامة تركية. وقد قارن نيبور مدينة كربلاء بمدينة النجف من حيث كثرة النخيل في الاولى وازدياد سكانها، لكنه يقول بأن بيوتها لم تكن متينة البنيان لأنها كانت تبنى باللبن غير المشوي. وقد وصف نيبور الحضرة الحسينية فقال بأن أطراف الحضرة والصحن كانت متنورة للشبابيك الكثيرة التي كانت موجودة فيها، وقد كان ذلك شيئا غريبا في بلاد يقل فيها زجاج النوافذ يومذاك وتحيط بالصحن من أطرافه الأربعة مساكن السادة والعلماء، كما ذكر نيبور أيضا وجود جامع كبير آخر للإمام العباس بن علي تقديرا لبطولته التي أبداها في يوم عاشوراء وتضحيته بنفسه من اجل أخيه الحسين. كما أشار أيضا إلى وجود مزار خاص خارج البلدة في أول الطريق المؤدي إلى النجف، ويقول انه شيد في الموضع الذي سقط فيه جواد الحسين. أما في العهد القاجاري فقد تم تذهيب الحضرة الحسينية ثلاث مرات، كما تم صنع صندوق فضي ثمين. وفي عام ١٣٥٨/ ١٩٢٠م/ قام السلطان طاهر سيف الدين الاسماعيلي بتجديد الشباك وقد تم صنعه من الفضة الخالصة في الهند. وفي الواجهة الأمامية من الروضة الحسينية تقوم خزانة الروضة الحسينية التي تحوي ذخائر وكنوز نادرة لا تثمّن منها مصاحف خطية قديمة نادرة، واحد منها مصحف شريف بخط الإمام زين العابدين وهو مكتوب بالخط الكوفي على رق غزال، ومصحف آخر فيه نقش ابيض وبين أوراقه رق غزال حتى لا تتلف صفحاته، وهما نفيسان للغاية. وعلى بعد ثلاثمائة متر تقريبا، من الجهة الشمالية الشرقية يقع ضريح العباس بن علي الذي استشهد مع اخيه الامام الحسين في واقعة كربلاء، وقد شيدت فوق قبره عمارة فيها قبة كبيرة ومنارتان، وقد عمرت وجددت في عهد القاجاريين ايضا. ولايقل ضريح العباس ضخامة عن اضرحة الائمة الاخرين، غير ان المنائر لم تطل بالذهب كلها، وفي حضرة العباس خزانة فيها ذخائر واشياء نفيسة جدا.. وهناك قبور مقدسة اخرى، منها ضريح

الشهداء، وقبر علي بن الحسين وعبدالله الرضيع، ويرقدان الى جانب ابيهما الحسين. ويقع شرق ضريح الامام الحسين ضريح القاسم ابن الامام الحسن والى جانبه قبر السيد ابراهيم المجاب. وعلى بعد ثلاثة اميال تقريبا من الحضرة الحسينية يقع ضريح حبيب بن مظاهر الاسدي وكذلك قبر الحر الرياحي اللذين استشهدا مع الامام الحسين يوم عاشوراء. كما توجد في كربلاء قبور اولياء صالحين، منهم الحمزة وابن الكاظم وعون ابن عبدالله وغيرهم. وتشتهر كربلاء، الى جانب الزراعة والتجارة والحرف اليدوية والشعبية، كصناعة القاشاني الملون والمنقوش بالصور الجميلة والخطوط العربية باساليبها المختلفة كالخط الكوفي والرقعي والديواني، وكذلك النقش على النحاس والصياغة والوشي والتطريز وصناعة الترب الحسينية. والواقع اتخذت كربلاء شهرة عظيمة في تاريخها السياسي والعلمي والادبي لم تحصل عليها العتبات الاخرى في العراق، حيث تطورت فيها حركة ثقافية واسعة كان من نتائجها دخول اول مطبعة حجرية اليها عام ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م، وبحسب سلمان هادي الطعمة فإنها أول مطبعة دخلت العراق، وكان من أهدافها طبع الكتب الدينية وقد تم فعلا طبع أول كتاب في العراق فيها، هو (مقامات الآلوسي) وكذلك خلاصة الأخبار عام ١٨٧٩م. وكان لموقع كربلاء بالقرب من نهر الفرات دور لا يستهان به ساعدها بالتزود بالمياه منه بشكل أفضل نسبيا من النجف، حيث كان هناك فرع من فروع الفرات يسقي حقولها وبساتينها. ولما كان الفرات يغير مجراه مرات عديدة، فقد أمر السلطان سليمان القانوني عام ١٥٣٣ بشق قناة الحسينية لنقل الماء إليها، التي كانت مشروعا هندسيا كبيرا، زودت الحسينية من مياه الفرات عند مدينة المسيب. وقد ساعد الإهمال وعدم الصيانة على ازدياد شحة المياه في القناة مما اثر على وضع كربلاء الاقتصادي والاجتماعي غير أنها استعادت بعض عافيتها بعد أن أمر الوالي حسن باشا ببناء سد في صدر القناة وكذل بناء واصلاح عدد من الخانات على طول الطريق الرابط بين بغداد وكربلاء، التي ساعدت على ازدياد عدد الزوار إليها وكذلك تقوية مركزها الديني في منتصف القرن الثامن عشر. وقد أخذت كربلاء تفقد موقعها الديني- الاقتصادي بعد مجيء المماليك إلى الحكم في العراق وذلك بسبب فرضهم عوائل سنية لسدانة العتبات المقدسة وسيطرتهم على إدارة المدينة وكذلك على جباية الضرائب فيها. غير ان ضعف المماليك، في بداية القرن التاسع عشر ساعد المدينة من جهة أخرى على حصولها على استقلال جزئي، بحيث لم يعد للسلطان العثماني أي ذكر فيها، وقد ساعد على ذلك تحالف تم بين بعض العشائر العربية وعدد من العوائل الدينية والتجارية المتنفذة في كربلاء ضد السلطات العثمانية، مما أثار قلق العثمانيين فحاولوا استعادة سلطتهم فيها وتقوية الحكم المركزي في العراق، ما ادى بدوره الى مقاومة كربلاء واعتصام اهاليها بالسور المحيط بها. وكان الوالي نجيب باشا قد أرسل إليهم قوة عسكرية لتأديبهم واعطاهم مهلة شهر كامل للتراجع عن تمردهم، غير أنهم لم يذعنوا لتهديده، مما دفعه لان يقود بنفسه القوة العسكرية، وان يهاجم المدينة ويضربها بالمدافع. وقد تم إخضاع كربلاء واحتلالها يوم ١١ ذي الحجة سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٣م.. والخلاصة يمكننا اجمال اهمية ودور العتبات المقدسة في العراق، التي شهدت منذ بداية القرن التاسع عشر، نهضة ثقافية واجتماعية جديدة، ولعبت دورا هاما في تاريخ العراق السياسي.. وخصوصا منذ بداية هذا القرن، واخذت تمارس تأثيرا دينيا واجتماعيا وسياسيا تخطى في احيان كثيرة، حدود العراق، وكان للمدن الدينية المقدسة مساهمة فاعلة في تكوين الوعي الوطني وتشكيل العراق السياسي الحديث، وبخاصة في حركة الجهاد وثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني للعراق. وفي الوقت الذي لم تشارك العتبات المقدسة الشيعية في الاحداث السياسية العامة خلال العهد العثماني فانها شكلت مراكز معارضة للسلطات العثمانية وقد اتسم موقف المرجعية الدينية وكذلك مواقف المجتهدين الشيعة، ولفترات طويلة بالسلبية والانصراف الى الأمور الدينية الصرفة، وقد استمر ذلك حتى نهاية القرن التاسع عشر. أما على الصعيد الاجتماعي- الاقتصادي.. فقد شكلت المدن مراكز جذب واختلاط وتفاعل دائم مع مختلف الفئات والطبقات والجماعات، وكذلك مع الدول العربية والإسلامية، مما ساعدها على توطيد علاقاتها الدينية والتجارية مع المدن العراقي، وبخاصة الوسط والجنوب، وكذلك مع القبائل العربية المتنقلة على حافة الصحراء الغربية. كما شكلت زيارة المسلمين من ايران والهند وتركيا والدول العربية قاعدة اقتصادية اجتماعية مهمة لهذه المدن ودعما ماليا لا يستهان به. ومن المعروف ان المورد الرئيسي الذي يحرك نشاطها الاقتصادي كان يعتمد الى حد كبير، على ما يدفعه المسلمون من حقوق شرعية وهبات ونذور، وما يصرفونه خلال الزيارات المستمرة الى العتبات المقدسة، وما يتبرعون به اليها وكذلك مايصرفونه على مراسيم التشييع والدفن، وبخاصة من إيران والهند وجنوب العراق وغيره من البلدان الإسلامية. وبحسب تقرير بريطاني، فان ما دخل النجف وحدها من حقوق شرعية وأموال خيرية ووقفية وغيرها، ومن إيران فقط، يقدر بحدود مليون جنيه استرليني عام ١٩١٨.. وكانت الموارد الخيرية التي وردت من مؤسسة اوذة الهندية الى العتبات المقدسة وبخاصة كربلاء والنجف قد بلغت حوالي عشرة آلاف جنيه استرليني سنويا، وبدأت عام ١٨٢٥ واستمرت حتى عام ١٩٥٣.. وقد ارتبط عدد الزوار إلى المدن المقدسة في العراق عادة بسياسة الحكومات العراقية والحكومات الإسلامية الأخرى. وهذا ما يوضح انخفاض عدد الزوار من إيران والهند إلى العراق بالتدرج منذ بداية هذا القرن، وبخاصة منذ أن اخذ الشاه رضا بهلوي يفرض قيودا مشددة على زيارة العتبات المقدسة في العراق، ومنع نقل الجنائز إلى النجف، وكذلك انفجار الحرب العالمية الأولى وما رافقها من مشاكل واضطرابات كما انقطعت زيارة الإيرانيين الى العراق ثانية منذ بداية السبعينيات، وخاصة بعد قيام الحرب العراقية – الإيرانية. وهناك موارد مالية أخرى تصل إلى العتبات المقدسة، منها رد المظالم، وهو ما يدفعه البعض للمجتهدين من أموال تكفيرا عن منكر ارتكبوه، وحق الوصية وهو مبلغ يدفع عن ثلث الأملاك الموروثة من المتوفين ويقوم المجتهد بتخصيص هذه الأموال لإغراض محددة، وكذلك دفع مبالغ محددة لقيام أشخاص آخرين يؤدون الصلاة أو الصيام نيابة عن أشخاص متوفين، إلى جانب الهبات والتبرعات الخيرية الطوعية من الهيئات او الأفراد وكذلك النذور التي تدفع إلى السادة وسدنة العتبات المقدسة وغيرهم. وبالإضافة إلى هذه الموارد المستمرة كانت هناك هبات توزيع الماء على الزوار وإنارة الأضرحة والعناية بقبور الأولياء الصالحين، وقد بذلت جهود كبيرة لتنظيم الزيارات في العتبات المقدسة حيث أنجزت الحكومة العراقية عام ١٩٢٤ بناء ثلاثة خطوط للسكك الحديد تربط بين خانقين وبغداد والبصرة وبغداد والهندية وكربلاء، من اجل تلبية حاجات الزوار الإيرانيين والهنود وكذلك العراقيين غير أن هذه الخطوط أخذت تفقد أهميتها بالتدريج بعد الحرب العالمية الثانية لتحل محلها طرق المواصلات الأخرى. وفي الواقع فقد كانت هذه المواد المالية سببا في قوة العتبات المقدسة الاقتصادية من جهة، وضعفها وتذبذب موقعها الاقتصادي من جهة أخرى، وذلك لافتقارها الى مصادر دخل اخرى ثابتة، وتذبذب العلاقات السياسية بين العراق والدول الاسلامية الاخرى وبخاصة ايران.. ومن الطبيعي ان تعزز هذه الموارد الطائلة قوة المجتهدين الشيعة ودورهم القيادي، غير أنها أثرت، من جهة اخرى، على توجهاتهم ومواقفهم السياسية، وعلى تنظيماتهم الاقتصادية والاجتماعية والإدارية ايضا. ومن الملاحظ أيضا غياب مؤسسة أوقاف شيعية كبيرة ومتطورة في العراق يمكن أن تدر موارد ثابتة للعتبات المقدسة كما هو الحال في إيران وتركيا او مؤسسة الأوقاف في العراق التي تدار اليوم من قبل وزارة الأوقاف العراقية، وقد يعود هذا إلى أسباب عديدة منها ان النجف وكربلاء لم تظهرا كمراكز شيعية كبرى الا في منتصف القرن الثامن عشر، ولأنهما كانتا حتى ذلك التاريخ مدنا دينية صغيرة ليس لها شأن اقتصادي كبير كما هو في القرن التاسع عشر والقرن العشرين. فقد كانت النجف من بداية القرن السابع عشر مدينة صغيرة خربة تقريبا شحيحة المياه ولم يتجاوز عدد سكانها الخمسمئة شخص. ومن الملاحظ ايضا، ان اعتماد العتبات المقدسة على الموارد الخاصة بها كان قد عزز من استقلاليتها وكذلك من استقلالية المجتهدين الشيعة وحوزاتهم العلمية. ومن الناحية الثقافية فقد عملت العتبات المقدسة في العراق، وخصوصا مدينة النجف، على الحفاظ على اللغة والثقافة العربية- الاسلامية ونشرها وترسيخها خلال قرون التخلف والظلام التي مرت على العراق، كما عملت على تأسيس المدارس والمراكز العلمية والجمعيات الثقافية والسياسية ورفدها بعدد كبير من العلماء والادباء والشعراء كمحمد سعيد الحبوبي والشيخ محمد رضا الشبيبي وباقر الشبيبي وعلي الشرقي وجعفر الخليلي ومحمد مهدي الجواهري وعشرات آخرين.

عن كتاب كربلاء في التاريخ

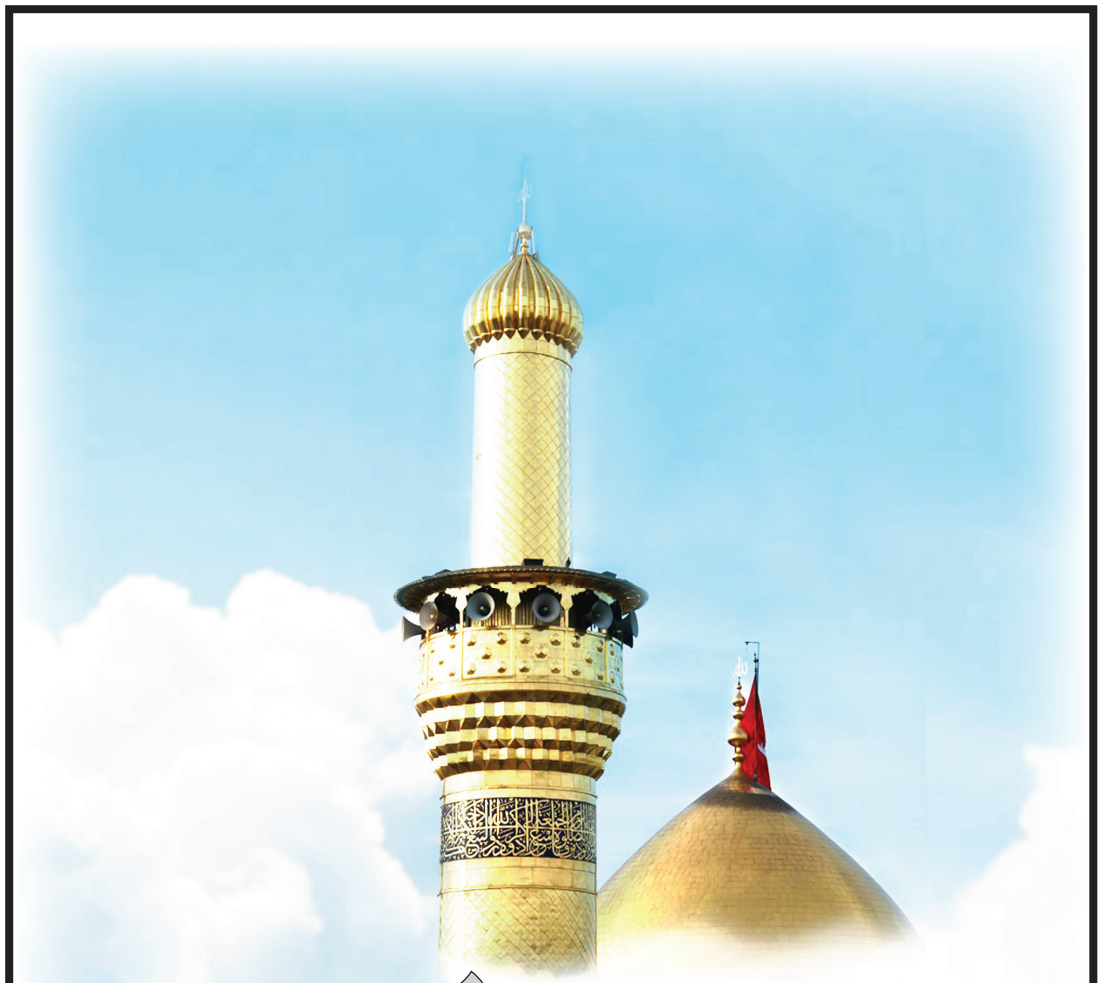

صور ومشاهد من مدينة الحسين "ع"

تتسم مدينة كربلاء ومجتمعاتها بطابع خاص قد يختلف تمام الاختلاف عن المدن العراقية الأخرى من حيث مظاهر الحياة والتقاليد والأعراف الشعبية والمهن والصناعات وتكاد تكون بعض الظواهر الاجتماعية خاصة بها دون غيرها من المدن ومرد ذلك إلى تكوين كربلاء التاريخي و الظروف التي عاشتها والأمم والشعوب التي نزح الكثير من إفرادها إليها للسكن مجاورين العتبات المقدسة ومتبركين بنفحات آلاء من دفنوا فيها من عترة النبي الكريم. وكربلاء منذ تكوينها لحد تاريخه تعتبر ملتقى طرق لكثير من الأمم فقلما نجد مدينة عراقية بعد بغداد طبعا يقصدها هذا العدد الهائل من مختلف الاجناس سنويا واختصها الكثيرون من الملوك والرؤساء العرب المسلمون بالاهتمام من حيث العناية بتشييد المراقد المقدسة وتعميرها وانشاء المرافق العامة فيها كالأبنية المسماة (بالحسينيات) ومحال (السقاية) وغيرها..

هادي الشربتي

وكان محتما لنتيجة اختلاط هذه الشعوب المختلفة بالبعض الآخر عن طريق المشاركة في العمل والمصاهرة أن تتكون مظاهر حياة جديدة ذات طابع خاص لهذه المدينة في مختلف شؤون الحياة كالعمل والفن والصناعة وعادات الزواج وطرق اللهو والتسلية وتنظيم الأسواق والمحال ومن ثم نشوء حرف جديدة تعتمد على الذكاء واستغلال عقائد الناس ونشوء حالات وتقاليد أولدتها حالة انصهار هذه الامم ببعضها من ناحية وبسكان المدينة الاصليين من ناحية اخرى. ونود في هذا المقال ان نلم ببعض من هذه الظواهر بعرض موجز لنرسم للقارئ صورة مبسطة عن ملامح الحياة الشعبية في هذه المدينة المقدسة وبعضها قد تكون معروفة في مدن اخرى ولكن البعض الآخر قد تكون مجهولة للآخرين لانها تخص كربلاء دون غيرها. وهذه الملامح تخص بعض جوانب فنون ارباب الحرف وطرق المشعوذين والدجالين في سبيل الكسب ثم أساليب الترفيه واللهو، وهذه بعض مشاهد عن طرق الكسب بواسطة الشعوذة وهذه لا تحتاج الى رأسمال عادة: ١. المداحون:. وهؤلاء مختصون بالتكسب عن طريق استدرار عطف الناس وكرمهم وذلك بتلاوة مآثر آل بيت الرسول الكريم مراثيهم والمصائب التي حلت بهم فمنهم من يتجول بالأسواق بصورة منفردة يتلو أشعار عبد الباقي العمري والشيخ صالح التميمي وقصيدة الفرزدق المشهورة في مدح الامام زين العابدين (ع) او يكتفون بتلاوتها على قارعة الطريق وفي المقاهي حيث يعقد المداح محفلا يشرح فيه مكارم الاولياء ويتلو مراثيهم فيكرمه الناس بما تجوده ايديهم او يؤلفون فرقة تتكون من خمسة يجلس اربعة منهم في صف و احد ويقابلهم خامس يكون شيخهم ويشرع في القراءة بنغم خاص في حين يلطم الاربعة الجالسون صدورهم بيد واحدة على ايقاع قراءة الشيخ ويرددون معه لازمة القصيدة على هيئة (كورس) وتفرش عباءة احدهم في الوسط ليرمي عليها المارة والمتفرجون قطع النقود التي يقتسمها المداحون بعد انتهاء الجولة.. ٢. المرشد:. وهذا يعقد ندوة في إحدى المقاهي يسرد فيها قصصا من (شاهنامة الفردوسي) وأخبارا عن (الاسكندر) وحمزة البهلوان (وحسين كرد) وطريقته أن يتجول في المقهى حاملا بيده عصا بقلد بها حركات أبطال القصة في الكر والفن ومنازلة الأعداء مستمرا في ذلك فترة من الزمن ثم يجمع إكراميته التي تسمى بلغتهم (الجراغ) ويستريح فترة ثم يكمل بقية القصة، وقد تستمر القصة الواحدة أسابيع وأشهر. ٣. معركة الدراويش:. وهي ليست معركة بالمعنى الصحيح ولكنها تعني الاجتماع الذي يعقده الدرويش في ساحة عامة لمنازلة (الحيايه) وبلع الدبابيس وبيع الاحجبة او سرد غزوة خيبر وغزوة بئر ذات العلم وحكاية (جومرد) القصاب ثم يجمع رزقه من المشاهدين. ٤. المبخر:. ويكون عمل هذا في الصباح حيث يحمل صينية فيها (منقلة) صغيرة ومقدار من البخور والحرمل يبخر بها دكاكين اهل الحرف ومحلاتهم حيث يحصل على هدايا نقدية او عينية ككطعة نقود صغيرة او رأس باذنجان او خيارتين او رغيف خبز. ٥. المسحراتي:. وهو الذي يوقظ الناس لتناول السحور في رمضان المبارك ولكل محلة مسحراتي خاص فمن (المسحراتية) م يوقظ الناس بالقرع على (الطبلة) والمتشرعون منهم يستعملون (التنكة) لانهم يعتبرون الاولى من آلات الطرب ويحرم استعمالها والفريق الثالث يكتفي بالنداء وتلاوة بعض الاشعار الصوفية في الزهد بصوت عال في الازقة والطرقات ويقرع ابواب العملاء الذين يوصونه مسبقا لإيقاظهم. واجرة المسحراتي تجمع يوم العيد حيث يجوب المحلة مستحصلا اكراميته ثم يؤشر بالطباشير على البيت الذي اخذ حقه منه حتى لا يعود عليه في وقت آخر فيفشل مع اصحابه.. وهذه المهنة هي ثانوية لاصحابها فاغلب المسحراتية مداحون ومبخرون وذوو حرف اخرى من هذا القبيل.. كانت هذه المشاهد الخمسة صورا من اكتساب الرزق والصور التالية عن بعض العلوم والفنون كالطب والرياضة وفرق التمثيل و النقش على الخبز.. ١. الطب اليوناني:. يقتعد الطبيب اليوناني غرفة ارضية من منزله حيث يستقبل الزوار من المرضى المصابين بالحمى والجدري والرمد حيث يفحصهم ويصف لهم وصفة تتكون من (ورد لسان الثور) و (أظافر الجن) و (العناب) وبعض الادعية للمريض واسقائه من مائها بعد التفتيح والصيدلية هي دكان العطار حيث يقوم هذا مقام الصيدلاني في تحضير الأدوية. وهناك الجراح اليوناني الذي يعالج (الفركاس) و (الطولاع) و (الدمامل) واوجاع الاسنان بداويته الخاصة وهي (الطبخانة) و (حب دبج) ويستعمل الجراح (المقص) و (المشرط) في الحالات الخطرة حيث يملأ الجرح بعد ذلك (بالفتايل). ٢. الزورخانة:. بناية أرضية في وسطها حفرة تسمى (الجفرة) وتقام الزورخانة عادة في الصباح حيث يرتدي الرياضيون (البشتمال) ويدخلون الجفرة بعد تقبيل الأرض احتراما ويقف رئيسهم ويسمى (الميادار) في الوسط حيث يمارسون فعاليتهم على نقرات طبلة (المرشد) الذي يجلس على مرتفع في وسط الزورخانة على الترتيب التالي: الدوران، الشناد، رفع المياله وسحب (السبرنك) ثم المصارعة. ٣. فرق التمثيل:. وأعضاء هذه الفرق قسمان: القسم الأول وهم المختصون بأداء (التشابيه) كتمثيل فاجعة الطف وقتل أولاد مسلم وغير ذلك من المواقف التاريخية حيث يتقمص كل فرد شخصية احد أشخاص القصة ويرتدي الملابس التاريخية الخاصة به ثم يؤدون المشهد كاملا ويجيد هؤلاء تمثيل أدوارهم تمثيلا رائعا يجعل المشاهد ينسى نفسه ويعيش حوادث القصة.. وتؤدي هذه (التشابيه) ثم شهري محرم وصفر في كل سنة وفي وفيات الأئمة في بقية الأيام. والقسم الثاني وهم (البقالبازية) وهم الذين يؤدون تمثيلياتهم في حفلات الأعراس والترفيه حيث يقومون بتمثيل قصص فكاهية غايتها بعث البهجة والمسرة في نفوس الحاضرين ومن الشخصيات التي يتقمصها هؤلاء شخصية (حصرم باشا) و (شرباك افندي) و (الحمال باشي) أي رئيس الحمالين. وقد شاهدت نشاط بعض هذه الفرق بنوعيات فوجدت في أعضائها إجادة تامة في أداء الأدوار وتقمص الشخصيات والتعبير بملامح الوجه وتمثيل كافة النبرات والحركات الصوتية التي يتطلبها الدور. ٤. فرق الموسيقى المتجولة:. ويسميهم العامة بالعبيد حيث أن غالبيتهم ذوو بشرة سوداء وهم فرق عديدة وآلاتهم الطبل والخشبة (الدنبك) والمزمار وهؤلاء يطوفون على البيوت التي فيها اعراس او قدم اصحابها من الحج او من مشهد الرضا وعلى بيوت الأثرياء في الأعياد ويعزفون على آلاتهم ويغنون أغنيتهم التقليدية:. آلهي دايم اولسن الله سلامت ورسن شغلري مبارك ولسن آلهي دايم اولسن مع بعض الاغاني الشائعة ويأخذون إكراميتهم فان تمنع أهل الدار من دفعها هددوا بوضع الطبل على الرماد وهذا العمل في اعتقاد اصحاب البيت يقلب فرحهم الى حزن وقد يكون مع الفرقة (راقص) يرتدي طاقية تتدلى منها اجراء تجلجل عند الرقص. ٥. النقش على الخبز:. كان منبر الخباز سابقا وخاصة في وقت المساء يعتبر معرضا لشتى فنون النقش على الخبز و (الميز) مدرج يبنيه الخباز في واجهة دكانه لعرض الخبز عليه للبيع وكان منظر (الدكاندار) وهو الذي يبيع الخبز متمما للمعرض حيث يقف هذا بعمامته (الزري) وبزونه (البته) وشاله (الكشميري) الذي تثبت فيه (القلمدان) وهي المحبرة المتصلة بها اسطوانة لحفظ اقلام القصب ويصنع من (البرنج). وانواع الخبز المعروض هي (التفتون) و (المصبع) و(الشجري) و(القلمدان) و (الحنونة) الخاصة بالأطفال ووزنها نصف وزن الرغيف العادي. تاريخ كربلاء منذ تأسيس الدولة العراقية سنة ١٩٢١ كان لكربلاء دور بارز في ثورة العراق والمطالبة بحريته وأستقلاله ، سنة ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م) وذلك لأن المرجع الديني الأكبر الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي آثر الإقامة في كربلاء لقيادة الحركة المناهضة لسلطة الأحتلال(١). وفي غمرة الأحداث التي تطورت نتيجة استياء الشعب من سلطة الاحتلال البريطاني رأت الحكومة البريطانية أن تمتص غضب المعارضين فأصدرت لهذا الغرض أوامرها لوكيل الحاكم الملكي العام في بغداد ليقوم بالتعرف على آراء العراقيين في شكل الحكم الذي يريدونه ، وذلك بإجراء استفتاء عام(٢). وحاولت سلطة الاحتلال أن تُجري الاستفتاء طبقاً لرغبتها. ولكنها فشلت في المدن المقدسة ولا سيما كربلاء، نتيجة الفتوى الشهيرة التي أصدرها المرجع الشيخ محمد تقي الشيرازي وتأييد العلماء المجتهدين في كربلاء والنجف والكاظمية لها والتي نصت على أنه «ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمام والسلطنة على المسلمين وأخذ جمع كبير من علماء الدين وزعماء العشائر يأمون هذه المدينة لتلقي التعليمات والأوامر من القيادة الدينية وتدارس الوضع في العراق ، وكانت الاجتماعات تعقد لهذا الغرض. وعقد أحد الاجتماعات السرية في دار المرجع الديني الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي لتداول أمر الثورة مما كان له أثره البعيد في أتساع نطاقها واستمرارها في أكثر المدن العراقية(١). ولكن بعد بضعة أشهر، بدأت الثورة تخمد رويداً رويداً لأسباب عديدة من أهمها وفاة المرجع الديني الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي في ١٤آب ١٩٢٠م وقيام سلطة الاحتلال بمناشدة الثوار التفاوض معها مما أدى إلى اختلاف في وجهات النظر. وحدث في هذا الوقت بالذات أمر خطير أخر وهو أن الذخيرة بدأت تنفد

مما كان له أثره البعيد في إضعاف الثورة ثم توقف القتال(٢). ولم تجد سلطة الاحتلال بُداً تحت تأثير وضغط الجماهير المطالبين باستقلال العراق من ترشيح الأمير فيصل بن الحسين شريف مكة المكرمة لعرش العراق. وقد حملته طرادة بريطانية إلى البصرة فوصل إليها في ٢٣ حزيران ١٩٢١م، ومنها تحرك بواسطة القطار فنزل مدينة الحلة ومنها ذهب إلى الكوفة والنجف. وفي صباح ٢٧ حزيران ١٩٢١م توجه الأمير فيصل وحاشيته من مدينة النجف إلى كربلاء ولم يكن في استقباله علماء الدين البارزون، وقد قضى يوماً واحداً في كربلاء زار فيها مرقدي الإمام الحسين (ع) وأخيه العباس (ع). وفي صباح ٢٨ حزيران ١٩٢١م غادر كربلاء إلى بغداد وبعد ثلاثة أسابيع من وصوله نادى به مجلس وزراء الحكومة المؤقتة التي كانت برئاسة عبد الرحمن النقيب ملكاً على العراق بالإجماع وفي ١١ آذار سنة ١٩٢٢م، أي بعد حوالي ٧ أشهر من تتويج الملك فيصل ملكاً على العراق، أغارت قوة كبيرة من الوهابيين على بعض العشائر في الناصرية جنوب العراق فقتلت حوالي سبعمائة شخص ونهبت الكثير من البيوت ودمرتها. وعلى أثر ذلك دعا علماء الدين الشيعة إلى عقد مؤتمر في كربلاء المقدسة في نيسان ١٩٢٢م وبمناسبة زيارة النصف من شعبان للاحتجاج على غارات الوهابيين. وقد صدرت عن المؤتمر مقررات أهمها المطالبة بالجلاء البريطاني التام عن العراق وإلغاء الانتداب. وكان من أبرز علماء الدين الذين دعوا إلى هذا المؤتمر الشيخ مهدي الخالصي(١). وفي ٢٥ حزيران سنة ١٩٢٢م صادق مجلس الوزراء برئاسة عبد المحسن السعدون على عقد أول معاهدة عراقية بريطانية. وما أن أعلنت على الناس حتى بادرت الحكومة إلى انتخاب المجلس التأسيسي، فصدرت الإرادة الملكية لهذا الغرض في ٢٤ تشرين الأول من السنة نفسها. لقد أتخذ رجال الدين والوطنيون موقفاً موحداً في معارضة تنفيذها، وصدرت الفتاوى من قبل العلماء في كربلاء والنجف والكاظمية بتحريم الاشتراك في الانتخابات. وحينما حاولت الحكومة البدء بالانتخابات من جديد في ١٢ تموز سنة ١٩٢٣م لم تنجح أيضاً بسبب رفض الشيعة تشكيل اللجان الانتخابية. ولذلك استقالت وزارة عبد المحسن السعدون، فألف الوزارة الجديدة جعفر العسكري في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٢٣م ، وكانت تضم بين وزرائها الثمانية وزيرين من كربلاء(٣). وفي السابع من أيلول سنة ١٩٣٣م توفي الملك فيصل الأول في سويسرا حيث ذهب إليها لغرض العلاج. وفي اليوم التالي لوفاته توج أبنه الوحيد غازي ملكا على العراق. وقد شهدت فترة حكمة ١٩٣٣.١٩٣٩م اضطرابات وانتفاضات عشائرية وانقلابات عسكرية متعددة وفي سنة ١٩٣٦م قامت عشائر الفرات الأوسط بحركاتها ضد وزارة ياسين الهاشمي. وكان لكربلاء دور مهم في اجتماعات قادة الحركة ورؤساء العشائر. ونتيجة لتلك الاجتماعات خرج ميثاق أسموه (ميثاق الشعب) يدعو إلى المطالبة بحقوقهم ، وقد بارك هذا الميثاق الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ووقع عليه عدد كبير من رؤساء عشائر الفرات الأوسط في الحلة وكربلاء والديوانية والناصرية وعلى أثر هذه الحركات قام الجيش بانقلاب عسكري بقيادة الفريق بكر صدقي في ٢٩ تشرين الأول سنة ١٩٣٦م لتغيير حكومة ياسين الهاشمي وقد وافق الأخير على تقديم استقالته بعد ضغوط كثيرة من الانقلابيين وفي ٣ نيسان سنة ١٩٣٩م أعلن عن مصرع الملك غازي بحادث اصطدام سيارة كان يقودها بنفسه. وقد وقع الحادث في ظروف غامضة. وقد تقرر في الليلة نفسها تنصيب أبن الملك غازي الوحيد فيصل الثاني ملكا على العراق ونصب خاله الأمير عبد الإله وصياً على العرش وذلك لصغر سن الملك وفي هذه الفترة أخذ قادة الجيش يتدخلون في شؤون البلاد وسياسة الحومة. وقد نجح رشيد عالي الكيلاني في كسب ودهم وقام بحركة عسكرية على حكومة نوري السعيد وشكل حكومة الائتلاف الوطني في ٣١ آذار سنة ١٩٤١م . وفي هذا الوقت حدثت أزمة بين الحكومة الجديدة والحكومة البريطانية أدت إلى نشوب الحرب العراقية البريطانية، وقد خرجت المظاهرات في كربلاء تؤيد هذه الحكومة وقيام الجيش العراقي بحركته الوطنية ضد مطامع الإنكليز وفي وثبة كانون سنة ١٩٤٨م كان لكربلاء دور في هذه الوثبة حيث قامت المظاهرات الطلابية مخترقة شوارع المدينة هاتفة بسقوط وزارة صالح جبر ومعاهدة بورتسموث. وأثناء تشييع جثمان جعفر الجواهري في كربلاء، قامت الشرطة باعتقال عدد كبير من أهالي المدينة. وأثناء انتفاضة الشعب العراقي في تشرين سنة ١٩٥٢م ضد حكومة نور الدين محمود العسكرية التي أعلنت الأحكام العرفية فور تسلمها الحكم كان لكربلاء دور أيضاً في هذه الانتفاضة حيث خرجت المظاهرات في شوارع المدينة تأييداً لها ، ويفعل الضغط الكبير من أبناء الشعب قدمت حكومة نور الدين محمود استقالتها وألغيت الأحكام العرفية وعلى أثر الاعتداء الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م هبت جماهير الشعب العراقي لنجدة مصر وشعبها، وكانت كربلاء في مقدمة تلك المدن التي ساهمت في هذا الشأن، وقاومت السلطة الحاكمة آنذاك فقامت فيها مظاهرة كبيرة أشترك فيها أبناء المدينة بكافة فئاتهم وكانوا يهتفون بسقوط الحكومة العراقية والمطالبة بمساندة مصر ، مما أدى إلى أعتقال عدد كبير من أهالي المدينة وأندلعت في ١٤ تموز سنة ١٩٥٨م ثورة كانت نتيجة حتمية لنضال الشعب العراقي بكل فصائله السياسية والمهنية ضد السلطة الحاكمة آنذاك. وحظيت كربلاء بعناية الثورة فزارها رئيس الوزراء الزعيم عبد الكريم قاسم وعدد كبير من المسؤولين كما زارها رؤساء وملوك الدول الإسلامية وذلك لمنزلتها العظيمة في نفوس المسلمين.

التسمية والحياة الاجتماعية

د.عدي محسن الهاشمي

الموقع والتسمية:

يعود تاريخ المدينة إلى العهد البابلي وكانت هذه المنطقة مقبرة للنصارى قبل الفتح الإسلامي، تقع كربلاء في جنوب غربي الفرات على بعد ٣٠ كم وتبعد عن بغداد حوالي ١٠٥ كم، وتقع على خط طول ٤٣ درجة وعلى خط عرض ٣٤ درجة مناخها رطب شديد الحرارة في الصيف ،وقارس البرد في الشتاء، تحيط بها البساتين من جميع أرجائها.

أما بالنسبة لتسميتها فقد وجدت العديد من الآراء أهمها رأي الأب انستاس الكرملي، إذ بين أن كربلاء تتكون من كلمتين"كرب" أي المصلى أو الحرم باللغة الآرامية و"أل" معناه الإله فتصبح حرم الإله ويرى بعض الباحثين إن كلمة كربلاء تعني (قرب الإله)، أو مصلى الإله ، وهي كلمة أصلها من البابلية القديمة فقيل إنها مشتقة من كلمة (كور بابل) العربية بمعنى مجموعة قرى بابلية قديمة، منها نينوى القريبة من سدة الهندية، ومنها الغاضرية (ارض الحسينية) ثم كربلاء أو عقر بابل ثم النواويس ثم الحير الذي يعرف اليوم بالحائر، ويرى آخرون أن تاريخ كربلاء يعود إلى تاريخ مدن طسوج النهرين الواقعة على ضفاف نهر بالاكوباس (الفرات القديم) وعلى أرضها معبد قديم للصلاة، وذهب آخرون إلى أنها كلمة فارسية المصدر مركبة من كلمتين هما (كار) أي العمل، و (بالا) أي الأعلى فيكون معناها العمل الأعلى، ويحتمل إن كلمة كربلاء مشتقة من الكربة بمعنى الرخاوة، فلما كانت ارض هذا الموقع رخوة سميت كربلاء أو من النقاوة ويقال كربلت الحنطة إذا هززتها ونقيتها، فيجوز أن تكون هذه الأرض منقاة من الحصى والحشائش فسميت بذلك التركيبة الاجتماعية: تقسم التركيبة الاجتماعية في عموم كربلاء إلى ثلاث فئات اجتماعية وفقا لطريقة معيشة السكان فيها، وهي: ١.فئة سكان المدن ٢.فئة سكان القرى ٣.فئة سكان الصحراء(البدو الرحل).

وعلى الرغم من هذا التقسيم، فأنه لا يوجد هناك فارق يميز هذه الفئات بعضها عن الآخر وان اختلفت في مستوياتها العلمية والثقافية والاقتصادية والمعيشية، أما مركز مدينة كربلاء فيمكن تقسيم التركيبة الاجتماعية فيها إلى إطراف أو محال يترأس كل طرف منها شيخ أو أكثر وهو يمثل الوجه الاجتماعي لذلك الطرف. وفي بعض الاحيان يضم الطرف الواحد بين صفوفه مجموعة من الأفراد قد لا ينتمون إلى عشيرة واحدة، إلا أنهم جميعاً يخضعون ويتبعون شيخ ذلك الطرف الذين يعيشون معه على المساحة نفسها من الأرض، وينعتون بأبناء المحلة أو الطرف الواحد. وخلال العهد العثماني المتأخر كانت مدينة كربلاء تضم المحال او الأطراف التالية: ١.محلة طرف المخيم: تقع في الجنوب الغربي من المدينة وتخضع جميعها إلى رئاسة أبناء محسن كمونة وأشهرهم محمد علي وفخري، وسمي بهذا الاسم لقربه من مخيم الإمام الحسين(ع). ٢.محلة أو طرف باب بغداد: وتقع في شمال المدينة وهذه المحلة تخضع لرئاسة أبناء عبد الرزاق عواد وهم عبد الكريم وعبد الرحمن وعبد الجليل، وسميت بذلك الاسم لانها تطل على شارع بغداد. ٣.محلة او طرف باب الخان: تشكل هذه المحلة الجزء الشرقي من المدينة وتخضع لرئاسة ابناء الحميري وهما عبد علي ومجيد، ويقاسم ابناء الحميري في مشيخة باب الخان ابراهيم ابو والده، وسمي بهذا الاسم كونه يحوي ثلاث خانات كبيرة. ٤.محلة او طرف العباسية: وتسمى الآن طرف العباسية الشرقية وطرف العباسية الغربية وتقع في الجزء الجنوبي والجنوب الغربي من مركز المدينة واسندت رئاسة هذه المحلة الى الشيخ طليفح بن حسون، شيخ عشيرة النصاروة. ٥.محلة او طرف باب السلالمة: وتقع هذه المحلة في الجزء الغربي والشمال الغربي من المدينة ورئاسة المحلة لأبناء الشيخ علوان شيخ الوزون وهما عثمان وعمر، وسميت بذلك الاسم نسبة الى عشيرة السلالمة. ٦.محلة باب الطاق: يشكل هذا الطرف او المحلة الجزء الغربي من مركز المدينة ورئاسة هذه المحلة للشيخ عمران جار الله شيخ عشيرة بني سعد، وسميت بذلك الاسم لوجود طاق الزعفراني الكبير. ٧.محلة باب النجف: ان هذه المحلة أو الطرف وتختلف عن الأطراف الأخرى كونها تشكل خليطا واسعا من أبناء بعض العشائر. لذلك أوكلت رئاستها لرجال الدين من علماء البلدة، وتحتل الأجزاء الجنوبية من المدينة، ويطلق عليه أيضاً باب طويريج او باب المشهد. ومن الملاحظ على هذه التقسيمات أنها وجدت نتيجة لضعف نشاط الدولة في ممارسة واجباتها في الحفاظ على امن المواطنين وحل مشاكلهم الاجتماعية لاسيما بعد تدهور السيطرة العثمانية وضعفها.

لذلك أصبح لهؤلاء الوجهاء والشيوخ في هذه الأطراف حق التصرف في فض وتسوية المنازعات بين الخصوم والتي كانت تقع بين أبناء الطرف الواحد أو بين طرف وآخر. الفئات الاجتماعية في كربلاء: إن الوضع الاجتماعي في كربلاء لا يختلف عن غيرها من مناطق العراق، إذ ضم المجتمع سكان المدن والقرى والقبائل المرتحلة، واختلفت تلك الفئات بمستوياتها المعيشية والثقافية، وانقسم المجتمع الكربلائي إلى طبقات أو فئات حاله حال أي مجتمع آخر، إذ وجد التجار والحرفيون والفقهاء ورجال الدين والعاملون في مجال الادب والعلم فضلاً عن العمال والفلاحين الذين كانوا يمثلون النسبة الأكبر من تلك الفئات. تألف المجتمع الكربلائي داخل المدينة إبان تلك الفترة من فئتين اساسيتين هما: ١.فئة علماء الدين وتلاميذهم، لقد أصبحت كربلاء بعد استشهاد الإمام الحسين(ع) عبارة عن مدرسة دينية كبيرة، ومهوى افئدة العلماء وطلبة العلم من كل حدب وصوب لينهلوا من علومها.

وقد حظيت هذه الفئة في كربلاء بمنزلة كبيرة كما في غيرها من المدن الإسلامية، وكانت توجيهاتهم وفتاواهم ذات اثر كبير

في المجتمع الكربلائي سواءً داخل المدينة او في القرى والأرياف . وتعد فئة العلماء هي الفئة المختصة بتحصيل العلوم الدينية وصولاً إلى مرحلة الاجتهاد والفتيا. وفي هذه الحالة تستقي باقي الفئات أصول دينها وأمور آخرتها وزاد تقواها من فئة العلماء المجتهدين لأنهم المسؤولون عن اقامة الحدود.

اكتسب العلماء والوجهاء دوراً كبيراً في الحياة السياسية والادبية في كربلاء واصبح اثرهم واضحاً في ذلك لاسيما بعد أن التف حولهم الكثير من الأدباء والشعراء، وتوارثت بعض الأسر الزعامات الدينية، فأنشأت مدارس ومعاهد للتدريس والتفقه الديني، ومن هذه الأسر على سبيل المثال لا الحصر أسرة البهبهاني، واسرة الخطيب، واسرة الشيرازي، واسرة الشاهرودي، واسرة الحائري، وتعتمد هذه الأسر في بناء مدارسها وفي تمويل نشاطاتها العلمية والدينية على ما تحصل عليه من حقوق دينية وهبات من باقي فئات المجتمع الكربلائي والمسلمين في العالم وتصف الرحالة مدام ديولافو(Deulfo) أثناء زيارتها لهذه المدارس في كربلاء عام ١٨٨١ إذ قالت:"يعيش هؤلاء الطلاب جميعاً على التبرعات التي يتبرع بها الزوار ووجوه المسلمين الذين يعيشون خارج المدينة ويقدم الزوار لهذه الغاية أموالاً طائلة عن طيب نفس للحصول على الثواب"(١٣). وبالتالي فأن تلك الأموال تشكل موردا مهما من موارد الدخل في المدينة والتي ساهمت في بناء المدينة وتوسيع رقعتها العمرانية في المستقبل على الرغم من إنفاق أموال قليلة في ذلك المجال من قبل القائمين عليها .٢.فئة التجار والحرفيين: تتميز هذه الفئة بالنشاط الواضح، اذ تغلب عليهم النزعة الدينية في صناعاتهم وتجارتهم وذلك بسبب قدسية المدينة التي تضم مرقدي الإمامين الحسين والعباس(عليهما السلام) ويؤمها عشرات الآلاف من المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها لزيارات العتبات المقدسة، وكان هؤلاء الحرفيون والتجار يؤلفون مع الفلاحين الفئة الأكثر ثباتاً في كربلاء، إذ أن فئة العلماء وتلاميذهم غالباً ما يلبثون في المدينة زمناً قد يطول إلا أنهم يغادرونها بعد الاستزادة من العلوم(١٤).

وان تلك الفئة اصبح لها ثقل كبير في الحياة الاجتماعية كونها الفئة التي أخذت رؤوس الأموال تتكدس لديها وبالتالي تأثيرها على مجريات الأحداث العامة. لم يعرف المجتمع الكربلائي الحياة الوظيفية، ولم يخدم الكربلائيون في دوائر الدولة الا بعد ان تأسست الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١، حيث تكونت طبقة صغيرة من الموظفين اتسعت فيما بعد شيئاً فشيئاً والملاحظ على مدينة كربلاء ان اكثر سكانها انذاك كانوا من العرب مع عدد قليل من الإيرانيين والهنود المسلمين وبعض اليهود، وتذكر بعض المصادر أن عدد سكان المدينة استناداً إلى التقرير الذي أعدته رئاسة الأركان البريطانية عام ١٩١٩، هم من العرب مع وجود بعض الفئات من قوميات أخرى، وعلى ما يبدو أن هذا التقرير لا يعطي على وجه الدقة عدد السكان بسبب عدد الزوار الذين يتوافدون على المدينة ثم يرحلون عنها بعد انتهاء فترة الزيارة، ونتيجة ذلك الاختلاط أدخلت الكثير من العادات والأعراف والسلوكيات قد أدخلت على ذلك المجتمع وبالتالي أثرت إلى حد بعيد، في عاداته الاجتماعية وتقاليده، وأضحت هناك تقاليد هجينة غير مألوفة في وسط العشائر العربية التي كانت تقطن في كربلاء، ناهيك عن استقرار الكثير من الأفراد من قوميات شتى في مدينة كربلاء وبالتالي نقل الكثير من عاداتهم ومفاهيمهم معهم، وسرعان ما تتأثر تلك الفئات الأجنبية باللغة العربية لغة القرآن الكريم ومن ثم تتعلمها وتحسن النطق بها تمثل مدينة كربلاء تجمع

وتوزيع الحاصلات الزراعية والحيوانية من القرى والأرياف ويقوم سكان القرى والأرياف باخذ حاجاتهم المختلفة من الآلات والأدوات المصنوعة والملابس وغيرها، حيث كانت توجد هناك الكثير من الورش التي كانت أيضا منتشرة في مدن العراق عموماً ومنها كربلاء التي كانت تعمل على توافر متطلبات المجتمع الزراعي، على الرغم من ذلك إلا ان مدينة كربلاء افتقرت خلال تلك الفترة الى التنظيم المدني الحديث المعروف والسائد انذاك في المدن الحضرية فضلاً عن تمسك الكثير سكانها بالعادات العشائرية والقبلية التي كانت تقف امام دخول العادات والأساليب الحديثة العصرية في الحياة العامة ، وبالتالي إضفاء الروح القبلية وعاداتها على الحياة الاجتماعية بصورة عامة. الكسوة والاثاث: كان لباسهم لا فرق بين الصيف والشتاء فما هو إلا كوفية وعقال على الرأس وثوب ابيض من الخام العادي وعباءة ويتمنطق كل منهم بحزام من صفوف الغنم تتدنى أطرافه وراء ظهره يلف به الخنجر أو (المكوار) ويسمى هذا الحزام (شرباك) وكان يضع بعضهم خواتم عديدة في إصبعه وقد ينقش قسم منهم اسمه على احدها يستخدمه كختم لان أكثرهم أميون لا يعرفون القراءة والكتابة وان ذلك الختم يكون بمثابة التوقيع أما أثاثهم فهو عبارة عن لوازم بسيطة من الفرش وبعض الأواني الفخارية والنحاسية وغذائهم الخبز من الحنطة والشعير وغذاء السراكيل عادة الأرز المحلي ونوع من (المرق) وأكثرهم يحضرون الدهن في إناء فيسكبونه على الأرز. وللاجتماعات في المضيف قواعد خاصة فيأخذ كل قادم محله حسب وجاهته وبعد إتمام الضيف تناول الطعام ينادي صاحب الحل(قم.قم.فلان) فمنهم من يعتذر ويكرر اعتذاره ومنهم من يقوم متثاقلاً... وهم يعبرون بذلك عن إبائهم وترفعهم من أكل فضالة غيرهم. وهي تعبر عن روح العربي ورفعته. وعند إحضار القهوة يقدم أولاً إلى السيد (لأنه من ذرية العلويين فهو اشرف الحضور) ومن ثم الى الموظفين والسراكيل وبعد ذلك الى عموم الحاضرين، ويعاب على الضيف ان طلب الغداء اذا جاع ولا يعاب ان طلب القهوة اما التدخين فمنتشر انتشاراً عظيماً حتى بين الأطفال ويتعجب احدهم ان رأى رجلاً لا يدخن.

واما النساء فلا يدخن إلا ما شذ وندر ونجد دور العشائر واضحاً في ترشيح الملك فيصل وتشكيل حكومة عراقية عام ١٩٢١، حيث قام رؤساء العشائر وزعماء الفرات ببذل ما في وسعهم للنهوض بواقع البلاد السياسي وتطور واقع الامة في كربلاء. فضلاً عن توجيه عدد من مضابط شيوخ العشائر الوطنية في كربلاء منهم السيد عبد الوهاب ال وهاب والشيخ محمد علي كمونة والشيخ عمر علوان والشيخ عبد الرزاق الوهاب والشيخ حميد زنكنة ومحمد حسن ابو المحاسن والشيخ علوان الهر والسيد محمد حسين القزويني مع الشيخ محمد رضا الشبيبي الى الحجاز في اواخر تموز ١٩١٩، الى الشريف حسين تشرح تفاصيل الوضع في العراق وتطالب بانشاء حكومة عربية دستورية،يرأسها احد انجاله وناشدته ارسال فيصل الى العراق لاعتلائه العرش(٣١). المعالم الدينية والفكرية وتأثيرها على الحياة الاجتماعية: الجوامع تميزت كربلاء بكثرة جوامعها وكذلك حسينياتها ففي كل منعطف وطريق يشاهد المرء مسجداً اقيم للعبادة وتأدية شعائر الاسلام ومن هذه الجوامع هي: ١-جامع رأس الحسين: سمي بذلك نسبة لموقعه في جهة رأس الإمام الحسين (عليه السلام) بالقرب من باب السدرة.

وكان من اقدم الجوامع الاثرية العظيمة وفي وسط هذا الجامع التاريخي مقام رأس الحسين(عليه السلام) وقد شمله الهدم بسبب افتتاح شارع الحائر الحسيني. ٢-جامع عمران بن شاهين: من اقدم مساجد كربلاء، شيده عمران بن شاهين امير البطائح في القرن الثامن هجري، وهو ملحق بالحرم الحسيني الشريف، له شأن كبير في توسيع وانتشار الحركة العلمية والدينية. ٣-جامع المرزا شفيع خان: يقع على نهر الهندية في المرحلة الأولى ما بين كربلاء وخان النخلة أي(خلف معمل اليشماغ حالياً) ويرجع إلى عهد المرزا شفيع خان. ٤-جامع السردار حسن خان: من المساجد القديمة التي كان يعد آية من الفن المعماري البديع وكان ملحقاً بالمدرسة الدينية المعروفة باسمه. ٥-جامع الناصري: من أهم المساجد التي شيدها السلطان ناصر الدين شاه القاجاري سنة ١٢٧٦ هـ، وكان موقعه شمال الروضة الحسينية المقدسة، وقد اندثرت آثاره وطمست معالمه اليوم(٣٢). ٦-جامع الأغا باقر البهبهاني: موقعه إلى جوار المدرسة الهندية حامل لواء النهضة العلمية في القرن الثاني عشر الاغا باقر البهبهاني وقد أسسه على العلم والتقوى في عهده ولم يزل أثره قائماً حتى اليوم. ٧-جامع صاحب الحدائق: شيده الشيخ يوسف البحراني الشهير بصاحب الحدائق المتوفى ١١٨٦هـ. ٨-جامع الشيخ خلف: من اشهر المساجد القديمة التي شيدها الشيخ خلف الحائري المتوفى سنة ١٢٤٦هـ. ٩-جامع الشهرستاني: كان يعرف قديماً بجامع الشيخ عبد الرحيم وموقعه قرب باب الشهداء عند صحن الحسين(عليه السلام). ١٠-جامع المرزا علي تقي الطباطبائي: موقعه في الواجهة الأمامية لمدرسة الكائن بالقرب من سوق التجار الكبير. ١١-جامع الاردبيلية: منها الجوامع القديمة يقع على الطريق المؤدي لمقام أمين الحمزة. ١٢-جامع الحمدية: أسسه الخليفة آل عثمان السلطان عبد الحميد الثاني، وقد هدم سنة ١٩١٥م. ١٣-جامع العباسية: تأسس في العهد العثماني وهو من الأوقاف المضبوطة، موقعه في محلة العباسية الغربية. ١٤-جامع الطهراني: أوقفه السيد صالح فوزي الطهراني سنة ١٢٤٣هـ، موقعه في سوق النجارين في محلة العباسية الغربية. ١٥-جامع الترك: أوقفه محمد جعفر الترك وذلك في العهد العثماني، موقعه في محلة العباسية الغربية عند نهاية سوق النجارين(٣٣). ١٦-جامع الحاج نصر الله: قام بإنشائه الحاج نصر الله بن الحاج عبد الكريم وذلك سنة ١٣٤٣هـ، موقعه في شارع العباس قرب السراي الحكومي. ١٧-جامع ماهي كليب: أوقفه الحاج ما هي بن كليب جد أسرة ماهي الجيلاوي في كربلاء وذلك سنة ١٢٩٩هـ، موقعه قرب سوق العلاوي بمحلة باب النجف. ١٨-جامع السيد هاشم فتح الله: يقع هذا الجامع بمحلة باب الخان قام بتشييده المرحوم السيد هاشم السيد حسين السيد فتح الله آل طعمة. ١٩-جامع السيد جواد الصافي: وهو من المساجد الشهيرة يقع في سوق الحسين خلف(حمام المالح) شيده المرحوم السيد جواد السيد مهدي الصافي سنة ١٣٢٩هـ. ٢٠-جامع الشهيد الثاني: وهو جامع يقع في زقاق العكيسة بمحلة باب السلالمة أسس تيمناً باسم الشيخ زين الدين بن نور الدين العاملي المسمى بالشهيد الثاني المستشهد سنة ٩٦٥هـ. ٢١-جامع المخيم: وهو المسجد المعروف في محلة المخيم تم تشييده سنة ١٣٨٠هـ. ٢٢-جامع الكرامة: يقع في نهاية سوق الحسين في طريق محلة باب السلالمة عند باب البوبية، سعى لانشائه السيد محمد علي السيد يوسف الاشيقر.

كيف بنيت مدينة كربلاء وما يميز عمارتها؟

بعد قيام الدولة العراقية سنة 1921م ، ونظرا لموقع مدينة كربلاء الديني والسياحي والجغرافي ، بدأ العمران في هذه المدينة بأخذ منحى جديد كسائر المدن العراقية الكبيرة. فقد انتقلت إليها أساليب جديدة في التصميم والبناء وأنماط وعناصر المفردات المعمارية الغربية، وخاصة في الأبنية التي استحدثت خارج حدود المدينة القديمة.وكانت أقرب المصادر المعمارية هي إنكلترا نظراً لتأثيرها الملموس في تلك الفترة التاريخية من العراق. بدأ تخطيط المناطق الجديدة من مدينة كربلاء بالابتعاد عن الأزقة الضيقة والطرق الملتوية التي تميز بها الجزء القديم منها وخاصة في المناطق المحيطة بالروضتين، وكان ذلك بحكم ظروف الحروب والغارات التي كانت تتعرض لها المدينة.

د. رؤوف الانصاري

وللمرة الأولى استعملت في المباني الجديدة مواد بناء كالأسمنت والحديد وخاصة حديد الشيلمان (I Beam) الذي استعمل بكثرة في تسقيف البيوت والأبنية الأخرى بدلاً من أخشاب جذوع النخيل وألواح جذوع الحور (القوغ) وبعض الأخشاب الأخرى، خصوصاً في القسم الجديد من المدينة والذي تم تخطيطه في عهد الوالي العثماني مدحت باشا.

وقد أعيد بناء تلك المباني مرة أخرى، نتيجة لتشييدها على أرض سبخة تنز فيها المياه مما أدى إلى انهيارها. وكان سبب ذلك وجود مستنقع كبير يحيط بمدينة كربلاء من الناحية الجنوبية والجنوبية الشرقية وعلى طريق كربلاء الحلة. وقد حافظت البيوت والمباني داخل محيط مدينة كربلاء القديمة على النسيج العمراني والطابع المعماري الخاص بالمدينة، إذ كانت منخفضة وذات طابق واحد إلى طابقين بحيث تلائم طبيعة وبساطة العادات الاجتماعية والوضع الاقتصادي والبيئي. وكذلك لا تتعدى ارتفاعاتها أرتفاع السور الخارجي لصحني الروضتين الحسينية والعباسية والتي ظلت على ما هي عليها منذ قرون عديدة وذلك حرمة لمكانة المرقدين. وفي هذه الفترة اشتهرت مدينة كربلاء ببعض العمائر البارزة أشهرها رباط الهنود (الإسماعيلية) المعروفين بـ(البهرة) ، وكذلك بناية دائرة الماء والكهرباء ودائرة الحكومة ودائرة البرق والبريد بالإضافة إلى بعض المكتبات ومبنى البلدية الذي كان موقعه في الميدان القديم ، وكذلك الأسواق التراثية والعديد من الخانات التي كانت تستقبل التجار والزائرين للسكن فيها(٢).

وفي مركز مدينة كربلاء، حيث تكون الروضتان موقع تجمع سكان المدينة ومحور حياتهم ، كانت الأسواق تحيط بالروضتين والمباني الدينية الأخرى ، وتمتد أمام مداخلها بحيث لا يمكن للزائر إلا أن يمر من خلالها. وتمتاز هذه الأسواق ببساطة بنائها وطابعها المعماري الإسلامي. ومن أهم هذه الأسواق وأشهرها سوق الحسين، وسوق العرب، وسوق المخيم ، وسوق العباس ، بالإضافة إلى القيساريات التي كانت موزعة ضمن الأسواق(٣). ومنذ سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) وإلى سنة ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) بدأت بلدية كربلاء، وعلى مراحل العمل على فتح الشارع المحيط بصحن الروضة الحسينية بحجة تنظيم حركة المرور وسير الزوار. وبسبب التخلف في الرؤية العمرانية والفنية والفكرية من قبل المسؤولين آنذاك ، فقدت مدينة كربلاء ، نتيجة هذا المشروع ، أجمل آثارها العمرانية الإسلامية التي كانت جزءاً من صحن الروضة الحسينية والتي ظلت شاخصة قرون عديدة ، ومن أهمها مئذنة العبد الشهيرة التي كانت تعتبر أحد أجمل الصروح المعمارية في المدينة، وكذلك الصحن الصغير الملحق بها وبعض المعاهد والمدارس الدينية والجوامع(١). وقد كان بالإمكان تلبية تنظيم متطلبات حركة المرور وتنظيمها وتطويرها وتجنب ما حدث من هدم وتشويه ، وذلك بإتباع دراسة تخطيطية علمية سليمة بحث تهدف إلى الحفاظ على الأبنية الدينية والتراثية في المدينة. نشر جاك بيرك وهو مستشرق فرنسي سنة ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) انطباعاته عن رحلته إلى كربلاء في كتابه (من الفرات إلى الأطلسي) والتي تمت في فترة سابقة لم يحددها، ولكن على ما يبدوا أنه زارها في العهد الملكي، حيث يقول: (كربلاء هي مركز لواء عدد نفوسه ٢١٧ ألف نسمة ، منهم ٨٠٪ من الحضر، وتضم المنطقة نفسها مدناً شهيرة مثل النجف والكوفة، وتقع على بعد ١٠٢ كلم إلى الجنوب الغربي من بغداد. فيها أراض زراعية غنية وتليها مباشرة المنطقة الصحراوية. وتمتد قناة الحسينية بمحاذاة نهر الفرات على اليسار، وهي إحدى أعمال المهندس الهندي المعروف وأيلكوكس الذي أدار فيما بعد الأعمال الهندسية في مشروع أسوان بمصر).

ويتحدث بيرك عن عمران مدينة كربلاء حيث يقول: (إن المدينة تتشابه مع باقي المدن العراقية الأخرى في طريقة البناء، حيث تنتشر البيوت البارزة والشرفات الزجاجية المسندة بقوائم خشبية بسيطة (الشناشيل)، وإلى جانب هذه البيوت

التقليدية هناك أيضاً الأحياء السكنية المبنية بالأسمنت المسلح، وهي بيوت يسكنها الموظفون والضباط(١). وفي سنة ١٩٥٤م بدأ العمل بتنفيذ بناء (حي الإسكان) من قبل الحكومة والذي خصص لموظفي الدولة ويقع إلى الجنوب الغربي من مركز المدينة على بعد ثلاثة كيلو مترات تقريباً(٢). وفي سنة ١٩٥٥م أستحدث متصرف كربلاء السيد حسن السعد (حي الحسين) الذي يقع إلى الجنوب الغربي من مركز المدينة على بعد ٣ كلم على طريق كربلاء النجف الجديد وملاصقاً لحي الإسكان، ويعتبر هذا الحي من الأحياء الحديثة الموجودة حالياً في كربلاء وأوسعها، وقد خطط بطريقة دائرية يتوسطه فندق كربلاء السياحي وتتوزع فيه المناطق الخضر(٣).

وفي الستينيات استحدثت أحياء جديدة منها (حي المعلمين) سنة ١٩٦٠م والذي يقع إلى الغرب من مركز المدينة على بعد ٤ كلم تقريباً، و(حي البلدية) سنة ١٩٦١م والذي يقع في المنطقة المحصورة بين شارع حي الحسين وشارع المستشفى القديم، وكذلك (حي العباس) سنة ١٩٦٤م والذي يقع على طريق كربلاء بغداد الجديد ويبعد حوالي ٣ كلم عن المركز.

وفي بداية السبعينيات ونتيجة لزيادة عدد سكان مدينة كربلاء ونزوح مجاميع سكانية كبيرة من المناطق المحيطة بالمدينة وبعض المدن والقرى الأخرى، أخذت المدينة بالتوسع أفقياً خارج محيطها القديم فاستحدثت أحياء جديدة تقع أغلبها في الجهة الغربية والجهة الجنوبية الغربية من المدينة منها: (حي الحر » و « حي العامل » و« حي النقيب » و« حي الإصلاح الزراعي » و« حي الجمعية » سنة ١٩٧٠م ، و« حي رمضان » و« حي الأسرة » و« الملحق » و« حي الصحة » و« حي البنوك » سنة ١٩٧٥ و« حي الموظفين » سنة ١٩٧٦م ، و« حي سيف سعد » سنة ١٩٧٧م ، « حي العروبة » و « حي الثورة » سنة ١٩٧٨م(١). وفي سنة ١٩٧٨م بدأ التخطيط لتنفيذ مشروع شارع المشاة بعرض (٤٠) متراً والذي يربط الروضتين الحسينية والعباسية وانتهى العمل فيه سنة ١٩٨٠م .

وقد تسبب هذا المشروع في تشويه الطابع المعماري الجميل لمركز مدينة كربلاء بصورة ملفتة للنظر، وجاء مقترناً بعدم الالتفات إلى الأصالة الحضارية للبيئة الإسلامية التي تتميز بها هذه المدينة وكذلك نسيجها العمراني، مما أدى إلى تهديم الكثير من معالم العمارة الإسلامية البارزة فيها ، كجزء من سوق الحسين الشهير، وجامع الصافي، ومدرسة بادكوبة الدينية، ومدرسة حسن خان، والبيوت التراثية الجميلة وغيرها. وشيدت على جانبي شارع المشاة مبان غير منتظمة ومن غير دراسة وتخطيطً مسبق وبدون تفهم لطابع المدينة العمراني الإسلامي(٢).

ونتيجة لازدياد وتدفق مجاميع بشرية جديدة أخرى من القرى والأرياف وبعض المدن العراقية الأخرى بسبب الحرب العراقية الإيرانية سنة ١٩٨٠م، بلغ عدد سكان مدينة كربلاء سنة ١٩٨٥م (١٨٤ ، ٥٧٤) ألف نسمة(٣).

بعد أن كان عدد سكانها سنة ١٩٧١م (١٠٢ ، ٢١٣) ألف نسمة(٤)، أي بلغت نسبة الزيادة خلال ١٤ سنة ٨١٪. وهذا يقتصر على المدينة وليس على أقضيتها ونواحيها كمحافظة. ومن جانب آخر، ونتيجة لتوسع بعض شوارع المدينة مثل شارع باب القبلة (أبو الفهد)، وشارع السدرة، وشارع الجمهورية، وفتح شوارع جديدة داخل المدينة مثل شارع باب السلطانية، وشارع المحيط، لذلك فقدت الكثير من العوائل مساكنها، ولم تعد مدينة كربلاء بوضعها الموجود قادرة على استيعاب هذا العدد الكبير من السكان وبناء مساكن إضافية جديدة فيها، فأخذت المدينة مرة أخرى تتوسع أفقياً خارج محيطها القديم والجديد من الجهة الغربية والجنوبية الغربية بوجه خاص، فاستحدثت أحياء جديدة أخرى وهي: (حي الانتصار) و(حي البهادلية) سنة ١٩٨٠م، و(حي العسكري) بقسميه في الحر وخلف الطاقة سنتي ١٩٨٠، و١٩٨٣م، و(حي الضباط) و (حي الشهداء) سنة ١٩٨٣م، و (حي السلام) سنة ١٩٨٩م ، و(حي الصمود) سنة ١٩٩٠م، و(حي التحدي) سنة ١٩٩٢م، وكذلك (حي التعاون) سنة ١٩٩٢م(١). وتفتقد معظم الأحياء الجديدة في كربلاء إلى أبسط مقومات الحياة المدنية التي تتميز بها الأحياء السكنية الجديدة في الدول الأخرى، كوجود مراكز تجارية وأسواق شعبية حديثة، والمراكز الحكومية كدوائر البلدية والصحية والمواصلات، وكذلك المراكز الاجتماعية والثقافية وملاعب الأطفال والساحات الرياضية والمناطق الخضراء. وتتميز مباني هذه الأحياء بأنها شيدت بأسلوب وطراز معماري يختلف عن البناء القديم السائد في مدينة كربلاء القديمة. فقد أندفع فيه البناءون إلى النقل والتقليد العمراني الحديث دون الالتفات إلى البيئة العمرانية الأصيلة للمدينة، مما أدى إلى أن تفقد مباني الأحياء الجديدة جزءاً من خصائصها العمرانية.

ولعل ما قام به النظام البائد بعد انتفاضة أهالي المدينة في آذار ١٩٩١م من تهديم لمساحات واسعة لمركز مدينة كربلاء (ما بني الروضتين وما يحيطهما) يمثل ذروة التخريب المتعمد. فأزيلت جميع المعالم العمرانية الإسلامية المميزة ، مما أدى إلى فقدان المدينة للكثير من تراثها العمراني الذي كانت تحفل به كالمساجد والمعاهد والمدارس الدينية والحسينيات والأسواق والقيساريات والبيوت التراثية الجميلة(١). وتحولت المنطقة الواقعة بين الروضتين إلى ساحة واسعة يبلغ طولها ٣٥٠ متراً وعرضها ١٦٠ متراً(٢). وفي بداية سنة ١٩٩٧م بدأت بلدية كربلاء بتبليط أرضية الساحة الواسعة (ما بين الروضتين) بالكونكريت وزرعت أجزاء منها بأشجار النخيل، وتم منح رخص لبناء فنادق حول هذه الساحة من دون وضع دراسة للمركز من الناحية التخطيطية والتصميمية، وعدم اعتماد الطرق الهندسية لتحسين المنطقة. وكذلك تم تشييد مبان تحيط بالمركز لا تتوافق مع فنون عمارة المرقدين والنسيج العمراني للمدينة القديمة. إن شق الشوارع خلال العقود الماضية بشكل متعسف في مركز المدينة، وتدمير مساحات واسعة، وإزالة المباني الدينية والتراثية، بحجة إعادة تطوير المنطقة، أدى إلى تهشيم كيانها المتحد وتجزئته إلى أجزاء متفرقة تفتقر إلى وحدة الترابط العمراني والاجتماعي المميز لها، والذي تبلور عبر قرون عدة.

وكذلك إضعاف هيبة ومكانة الروضتين وحرمتهما ضمن المحيط العمراني غير المتجانس. وكذلك إلغاء كافة الأنشطة الحيوية والتجارية والتي كانت متمثلة بالأسواق والمحال التجارية.

وقد أقيمت خلال السنوات الماضية العديد من الأبنية في محيط الروضتين والساحة الواسعة الواقعة بينهما، يشكل القسم الأكبر منها فنادق صغيرة ومتوسطة الحجم شيدت بشكل مشوه وهجين ولا علاقة له بالتراث والأصالة والطابع المعماري الإسلامي الذي تميزت به المدينة ولعدة قرون.

وفي شهر نيسان (أبريل) ٢٠٠٦م تم تشكيل لجنة هندسية في محافظة كربلاء مهمتها وضع الشروط الخاصة بمشروع التصميم الأساسي الجديد لمدينة كربلاء المقدسة لدعوة المكاتب الاستشارة الهندسية العراقية والدولية لتقديم عروضها لإعادة تخطيط المدينة وفق خصائصها ومزيتها الأصلية.

من اسماء كربلاء في التاريخ

لمدينة الإمام الحسين "ع" كربلاء عدة أسماء عرفت بها على مر التاريخ ومنها:

الغاضرية : بعد الألف ضاد معجمة ، منسوبة إلى غاضره من بني أسد، وهي قرية من نواحي الكوفة قريبة من كربلاء. ويظهر أن الغاضرية ليست قديمة التاريخ فهي أنشئت بعد انتقال قبيلة بني أسد إلى العراق في صدر الإسلام. وهي أرض منبسطة وتقع اليوم في الشمال الشرقي من مقام أو شريعة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) على العلقمي بأمتار وتعرف بأراضي الحسينية. وعن أبي جعفر (عليه السلام) إنه قال: الغاضرية هي البقعة التي كلم الله فيها موسى بن عمران، وناجى نوحا فيها، وهي أكرم أرض الله، ولولا ذلك ما استودع أولياءه وأنبياءه، فزوروا قبورنا بالغاضرية.

– نينوى : بكسر أوله، وسكون ثانيه، وفتح النون والواو، بوزن طيطوى ، بسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى ، منها كربلاء التي قتل بها الحسين (رضي الله عنه) (معجم البلدان ٥ : ٣٣٩) وكانت على نهر العلقمي، وكانت قرية عامرة في العصور الغابرة ، تقع شمال شرقي كربلاء ، وهي الآن سلسلة تلول أثرية ممتدة من جنوب سدة الهندية حتى مصب نهر العلقمي في الأهوار وتعرف بتلول نينوى (دائرة المعارف الشيعية ٩ : ٣٥٦) .

–شفيه : وهي بئر حفرتها بنو أسد بالقرب من كربلاء ، وأنشأت بجانبها قرية ، وكان الحسين (عليه السلام) عندما حبسه الحر بن يزيد الرياحي عن الطريق، وأم كربلاء، أراد أن ينزله في مكان لا ماء فيه، قال أصحابه : دعنا ننزل في هذه القرية يعنون نينوى، أو هذه القرية يعنون الغاضرية، أو هذه القرية يعنون شفيه، وإن الضحاك بن عبد الله القرشي المشرفي عندما اشتد الأمر على الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء وبقي وحيدا استأذن الحسين (عليه السلام) بالانصراف لوعد كان بينهما (أن ينصره متى كان كثير الأنصار) فاستوى على ظهر فرسه فوجهها نحو العسكر ، فأفرجوا له وافترق صفوفهم ، ثم تبعه خمسة عشر فارسا حتى جاء شفيه فالتجأ بها وسلم من القتل .

–العقر : قال ياقوت الحموي :"العقر بفتح أوله وسكون ثانيه. . منها عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة. وهي قرية في الشمال الغربي من الغاضرية وبأطلالها أثريات مهمة. وقد روي أن الحسين (عليه السلام) لما انتهى إلى كربلاء وأحاطت به خيل عبيد الله بن زياد قال: ما اسم هذه القرية ؟ وأشار العقر، فقيل له: اسمها العقر . فقال : نعوذ بالله من العقر، فما اسم هذه الأرض التي نحن فيها ؟ قالوا: كربلاء ، فقال: أرض كرب وبلاء. وأراد الخروج فمنع حتى كان ما كان. وقتل في العقر أيضا يزيد بن الملهب بن أبي صفرة في سنة ١٠٢ هـ، وكان خلع طاعة بني مروان، دعا إلى نفسه وأطاعه أهل البصرة والأهواز وفارس وواسط، وخرج في مائة وعشرون ألفا، فندب له يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة، فواقعه في العقر من أرض بابل، فأجلت الحرب عن قتل يزيد بن الملهب. وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: كان يقال: ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء، وضحى بنو مروان بالمروءة يوم العقر، فيوم كربلاء يوم الحسين بن علي وأصحابه، ويوم العقر يوم قتل يزيد بن المهلب وأصحابه. قال الكلبي: "نشأت والناس يقولون : ضحى بنو أمية بالدين يوم كربلاء، وبالكرم يوم العقر". وفيات الأعيان ٢ : ٤

– النواويس : كانت مقبرة عامة للنصارى قبل الفتح الإسلامي ، وتقع في أراضي ناحية الحسينية قرب نينوى (دائرة المعارف الشيعية ٩ : ٣٥٦).

– عين التمر : قال ياقوت الحموي : بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له : شفاثا ، منها يجلب القسب والتمر إلى سائر البلاد ، وهو بها كثير جدا ، وهي على طرف البرية ، وهي قديمة افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد في سنة ١٢ هـ . وكان فتحها فسبى نساؤها وقتل رجالها ، فمن ذلك السبي والدة محمد بن سيرين ، وسيرين اسم أمه ، وحمران بن أبان مولى عثمان بن عفان، وفيها يقول عبيد الله بن الحر الجعفي في وقعة كانت بينه وبين أصحاب مصعب:

ألا هل أتى الفتيان بالمصر إنني × أسرت بعين التمر أورع ما جدا
وفرقت بين الخيل لما تواقفت × بطعن امرئ قد قام من كان قاعدا

وفي الفتح الإسلامي للعراق قالوا : ولما فرغ خالد من الأنبار ، واستحكمت له ، استخلف على الأنبار الزبرقان بن بدر ، وقصد لعين التمر ، وبها يومئذ مهران بن بهرام في جمع عظيم من العجم ، وعقة بن أبي عقة في جمع عظيم من العرب من النمر وتغلب وأياد ومن فهم. وذكر أبو الفرج الأصفهاني :" إن سابور الثاني الملقب بذي الأكتاف حاصر مدينة الحضر بين دجلة والفرات على الأنهار وأفتتحها وسبي النضيرة ابنة ملكها وخرب المدينة، وحمل النضيرة فأعرس بها بعين التمر". ويظهر من هذه الروايتين بأن مدينة عين التمر كانت عامرة قبل الفتح الإسلامي للعراق. قال الدكتور جواد : "واختياره لعين التمر دليل على أن فيها بنيانا ملوكيا يصلح لأن يكون موضعا للعرس ، وما أحرى حصن الأخيضر بذلك فأنه حصن ملوكي حقا". موسوعة العتبات المقدسة ٨ : ٣٠

مواكب العزاء في كربلاء

تاريخ طويل وأشعار يتداخل فيها السياسي والديني

كربلاء/ المدى

آلاف مؤلفة من البشر تتقدم مع صوت يجذبهم إلى مكان لا يتعدى قطره ٧٥٠م لكنه يضم رفات من استشهدوا في سبيل الحق لتكون ثورة تحدث عنها التاريخ وهؤلاء القادمون من كل مكان كما هم في كل عام يحيون هذه الثورة حتى لو كان من خلال بكاء ولطم وأشعار حسينية تتداخل في بعض مفاصلها أشعار سياسية لان بوصلة الحياة تتجه إلى أن الظلم له لسان ينطق لكي تعاد الطبيعية إلى طبيعتها حتى وان لم ينجح هذا الصوت السياسي.

كربلاء التي توشحت بالسواد ليس لاعتبار إن السواد هو الحزن والبكاء بل هو تعبير عن حالة يراد لها أن تبقى في الذاكرة وليس في التاريخ فحسب..شوارع توشحت مثلما توشح الرجال والنساء والصبية بالسواد.

احتفالات من نوع آخر لا تشبه احتفالات العالم الأخرى لان المصب هنا عقائدي..فترى من خلف هذا الحزن فرحا كبيرا دلالته توزيع الشربت والجكليت والأشعار السياسية إلى جانب الحزن..هو الفرح لأنهم يريدون أن يبقوا في خانة العقيدة لا خارجها بدلا من الفرح الأزلي الذي ينتمي إلى عقيدة كما يقول بعض القائمين على حزن المواكب.

هيئات وتكيات ومواكب حسينية

وسط مدينة كربلاء فيه حركة كبيرة اذ تبدو الشوارع الرئيسية المؤدية إلى ساحة ما بين الحرمين مكتظة بالناس والأرصفة تحولت إلى تكيات ومقرات لهيئات ومواكب حسينية عديدة فيما كان الناس يتابعون تلك المواكب التي تنطلق منذ العصر على شكل مجاميع طويلة لمواكب الزنجيل التي تتقدم واحدة بعد الأخرى طوال العصر وإذا ما حل الليل بدأت مواكب العزاء واللطم على الصدور مكانها لتعلو مع الموكبين الزنجيل واللطم ردات حسينية لها جذور عميقة تتداخل فيها المواضيع السياسية مع الدينية وكان لسان الحال يتخذ منه هذه المناسبة موعدا لقول ما يشاء الشاعر وما تريده المواكب لصرخة مضمومة.المواكب التي تعلن عن نفسها من خلال هيئاتها وتكياتها ترفع لافتاتها أمام الموكب ولم تكن هذه المواكب قد خطت لتوها بل تجد إن بعضها كان مدفونا وقديما.

يقول احمد الوزني احد مسؤولي هيئات العزاء في كربلاء.."النظام السابق منع منذ سبعينيات القرن الماضي ممارسة مثل هذه الشعائر إلا إن المؤمنين احتفظوا بآلاتهم وسيوفهم ودفوفهم وكأنهم يعلمون إن الطاغية سيندحر يوما ما". وأضاف"هذه المواكب احتفظت بآلاتها وعناوينها منذ زمن بعيد في حين تاريخها قديم جدا حين كانت كربلاء عبارة عن سور ومحال صغيرة تحيط بالضريحين".

مواكب الزنجيل تبدأ حركتها منذ اليوم الأول لمحرم الحرام متخذة من الشوارع المؤدية إلى الضريحين مسارا لها لتنتهي عند ضريح الإمام الحسين بعد أن تمر على ضريح العباس أو لا.هذه المواكب تتكون من طابورين متوازيين طويلين يشارك فيهما عشرات الرجال والشباب والأطفال الذين يكونون في آخر الموكب،كل موكب يتقدمه شباب حملة الرايات الخضر والحمر والبيض وبينهم شاب يحمل العلم العراقي..وهناك ضاربو (الطبول) كبيرة بواسطة العصي الذي ينتهي برأس كبير إسفنجي وضاربو (الدمام) بعصي معقوفة وضاربو (الطوس) الدائرية الصفر المصنوعة من النحاس وضاربو(النقارة) بعصاتين صغيرتين،هؤلاء يوحدون الحركة لضاربي (الزنجيل) الذين يدورون نصف دورة مع أنغام صوت الرادود..وعلى هذا الصوت كانت (الزناجيل) الحديدية التي تشبه سلاسل صغيرة كثيرة العدد ترتفع إلى الأعلى ثم تهوي على الظهور.

تاريخ قديم لمواكب العزاء

يقول رياض نعمة السلمان مسؤول موكب المخيم ..أول موكب بدأ في كربلاء يعود تاريخه إلى عام ١٦٥٠ وموكب المخيم من أوائل المواكب في كربلاء.. ويضيف..هذا الموكب أسسه الحاج حمد بن درويش آل عويد.. ولكن المواكب كانت موجودة قبل أكثر من قرنين ولكنها كانت عبارة عن محاضرات دينية لإحياء ثورة الحسين..

ويتابع: لقد تحولت بمرور الزمن إلى مواكب عزاء في القرن الماضي كانت المواكب تنطلق على أضوية مشاعل نفطية داخل أزقة ضيقة حين كانت كربلاء عبارة عن أزقة وممرات متداخلة حتى عام ١٩٠٧ بدأت هذه المواكب تخرج إلى الشارع حين كان أول رئيس بلدية لكربلاء هو الشيخ (سلمان الحاج حمد آل عويد) وقد سمح للمواكب أن تدور في أزقة كربلاء بصيغة منظمة وكان عدد المواكب في يوم عاشوراء هو ٦ مواكب كبيرة جدا تسمى مواكب (أطراف كربلاء) أي مناطقها.

ويتذكر السلمان كانت المواكب تنطلق على شكل سلسلة من الناس واحدا جنب الآخر وعلى خطين متوازيين بالنسبة لمواكب اللطم في حين بقيت مواكب الزنجيل على حالها..في عام ١٩٦٥ تحولت تلك الطريقة إلى نظام (الجوقة) أي التجمعات للموكب الواحد..ويؤكد كانت القصائد التي كانت تردد تعبر عن الهم والحزن لثورة الحسين وبعضها يتخذ من السياسة طريقة للتعبير..الا انه وفي زمن النظام البائد وتحديدا عام ١٩٧٥ توقفت هذه المواكب بسبب أن النظام السابق أرادها أن تكون دعائية له وان تكون الأشعار تحمد به فتوقفت بعض المواكب ثم لحقتها الأخرى لان هناك الكثير من أصحاب المواكب دخل السجن..ويوضح السلمان ،كان عدد جوقات موكب المخيم أكثر من ٢٢ جوقة وفي كل جوقة يشترك فيها ما بين ٧٠-١٠٠ شخص أما الآن فان عدد الجوقات ١٠ يشترك فيها ما بين ١٠٠-١٥٠ شخصاً بسبب كثرة المواكب التي خرجت إلى النور بعد سقوط النظام.

مواكب العزاء والتداخل السياسي

مجاميع عزاء اللطم أو جوقاته في كل موكب لها نظام خاص، فكل جوقة ترد بيتا من قصيدة شعبية برفع احد الشباب على لافتة ينظر إليها المنشدون وما أن يصل إلى مقطع معروف وهو اللازمة حتى تتوقف الجوقة الأولى لتبدأ الثانية بالإنشاد بمقطع آخر مرتبط بالمقطع الأول وهكذا للجوقة الثالثة والرابعة والخامسة حتى تعود إلى الجوقة الأولى ..إيقاع موحد ترتفع فيه الأيادي مؤشرة إلى السماء ثم في نهاية كل مقطع تهوي الأيادي على الصدور.

موكب طرف العباسية مشهور بأشعاره السياسية في كل مناسبة دينية.يقول الشاعر الحسيني رضا حسن النجار احد مسؤولي الموكب.. تأسس موكبنا عام ١٨٨٨ من قبل ملة حيدر المختار والملة علي المختار وسيد عبد الأمير الشامي وهادي الشامي وحسن النجار وكاظم الوزني وغيرهم..ويضيف.. يمتاز موكبنا بترديده للردات السياسية في مثل هذه المناسبات..مشيرا إلى إن أول موكب لنا كان في عام ١٩١٩ على شكل بسيط حتى عام ١٩٢٩ بدأت بشكل منظم..وتابع.. موكبنا مشهور برداته السياسية لا نغفل عن أية مناسبة عراقية أو عربية "ويعطي مثالا" في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٢ كتبنا:

هذا الشعب ثار/ يا أبو الأحرار/
يؤيد مصر العربية/ ضد الهجمة الرجعية/
يبعث استنكار/ يا أبو الأحرار

ويضيف..أما في الوقت الراهن فقط قلنا في عاشوراء الماضي أشعارا سياسية أيضا من مثل

أبو الأئمة شعبك أيعيش بماسي/
والقوائم همهه توزيع الكراسي/
رشوة وإرهاب وبطالة/
والشعب ساءت أحوالة/
والله ملينة الوعود/
كافي ملينة الوعود

ويؤكد.. موكبنا يدعو إلى الوحدة أيضا

إنادي بالوحدة وبرص الصفوف يا حسين/
ونستمد قوتنه من ارض الطفوف يا حسين/
كلنا أخوة بهذا البلد/
وكل طوائفه سند/
تبقى سالم يا عراق تبقى سالم.

أما السيد هادي السيد حسين البلوشي مسؤول موكب عزاء البلوش فقال..تأسس موكبنا عام ١٨٨٠ وفي عام ١٩١٠ انتظم بشكل مجاميع نزلت إلى الشوارع..وأضاف.. كانت المواكب تقام في البيوت ثم على شكل حلقات تشبه السلسلة مثل مواكب الزنجيل حتى عام ١٩٧٥ أصبح موكبنا يشارك مع المواكب الأخرى..ويبين.. موكبنا له جوقات أيضا لكنه يمتاز بأنه يقوم بعرض التشابيه لعملية حرق الخيام.. موضحا انه في معركة الطف تم حرق خيام نساء الحسين لذلك نقوم بنصب بعض الخيام الصغيرة والكبيرة ومن ثم تحرق خيمة واحدة للتذكير بانتهاء المعركة ومن ثم ننطلق جميعا للمشاركة في ركضة طويريج.

خانات كربلاء المقدسة... منازل حسينية وآثار تأريخية

يقع العراق في منطقة بالغة الأهمية من الناحيتين الجغرافية والتاريخية فإلى جانب كونه يمثل مركز الحضارات الانسانية الاولى وموطن الأقوام ودول البابليين والأشوريين وغيرهم فأنه أيضا يقع في قلب منطقة العالم الإسلامي وحضارة امة الإسلام العظيمة حيث شكل في فترات عدة من مراحل التاريخ الإسلامي عاصمة الدولة الإسلامية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية وكان في ذلك مهد لولادة وقيام الأحداث التاريخية الكبرى.

وإضافة إلى ما ذكر فأن للعراق مكانته وموقعه الحضاري الحافل بالقداسة والعظمة من خلال وجود الكثير من الديار والمراقد والمزارات المقدسة لجملة من الانبياء والصالحين والأئمة الأطهار من آل الرسول الأعظم محمد صلوات الله وسلامه عليهم فمدينة النجف الاشرف تحتضن الجسد الطاهر لمولى المتقين أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وكذا ارض الطف كربلاء المقدسة حيث مدفن الجسد الطاهر للإمام الحسين عليه السلام وجسد أخيه ابي الفضل العباس وأجساد النخبة الطاهرة من آله وصحبه الميامين عليهم السلام وكذا مدينتا الكاظمية وسامراء المقدستين وسائر مدن وسط العراق وجنوبه وشماله.

وميزة وجود المزارات الدينية والعتبات المقدسة ومختلف آثار وأماكن السياحة الدينية جعلت من العراق محط رحال الملايين من أبناء سائر الدول الإسلامية والعالم بأسرة عند كل مناسبة وموسم وسنة وكربلاء لوحدها يؤمها سنويا أكثر من ٢٠ مليون زائر سنويا من داخل العراق وخارجه بهدف زيارة قبر سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام وهذه الحالة ليست وليده اليوم أو سَني التاريخ الحديث وإنما نشأت من بعد استشهاده عليه السلام وتحولت إلى عقيدة وسنة ثابتة لدى سائر إتباع أهل البيت عليهم السلام وهذه سرت لكافة مراقد الأئمة الأطهار.

وإزاء ما تستلزمه هذه الحالة من متطلبات وأمور خدمية ضرورية لهذه الأعداد البشرية الهائلة الزاحفة مع كل موسم وعام إلى عراق المقدسات وكربلاء الحسين بالذات فكر أصحاب الهمم العالمية والأيادي السخية من علماء ومراجع إعلام (قدست أرواحهم) ومحسنين كرام بالأمر مليا فقرروا إنشاء منازل حصينة مأمونة تكون وقفا لأبي عبد الله الحسين عليه السلام ينزل بها الزائر ليجد المأوى والمأكل والمشرب إضافة لما يبغيه من خدمات.

ويرتاحون فيها فكر أصحاب الهمم العالية والأيادي السخية من علماء أعلام (قدست أرواحهم) ومحسنين كرام بالامر مليا فقررا انشاء منازل حصينة مأمونة تكون وقفا لأبي عبد الله الحسين عليه السلام ينزل بها الزائر ليكون المأوى والمأكل والمشرب إضافة لما يبتغيه من خدمات، زرناها ووقفنا على معالمها التي تركتها يد الزمر إطلالا وصيرتها بعد العمران بلاقعا الا ما أدركتها حصيلة الترميم أو تلك التي صمدت بوجه العاتيات.

نقلب صفحة الماضي بما يخصها وهي جديرة بالاهتمام والاحترام كيف لا وقد آوت زائري الإمام الحسين عليه السلام.

مصطلح الخان:

الخان هو حانوت أو محل نزول المسافرين، وقال في المنجد (الخان) كلمة دخيلة أعجمية أدخلت في كلام العرب والجمع خانات أما ابن منظور فيقول يعني بكلمة الحانوت او صاحب الحانوت وهو اي الخان فارسي معرب وبالرغم من أعجمية كلمة الخان الا ان لها تاريخا مؤغلا في القدم في استعمالات العرب وعند تصفحنا لبعض الكتب نجد أنها وردت في كتاب الطبري وغيره من مؤرخي تلك الفترات ولعل استعمالها ابعد من ذلك بكثير إذ أن الطبري يوردها دون تفسير لمعناها وهذا يدل على أن الملتقى يعرف بديهيا معنى الخان دونما تعريف لهذه الكلمة وحتى عند الانكليز (inm) وهو يعني الفندق أو المنزل الذي يأوي إليه المسافرون.

انتشار الخانات

بما أن الخان كان يعد بمثابة الفندق اليوم فقد ازدحمت المدن بالخانات التي تأوي المسافرين وتوفر لهم وسائل الراحة وخصوصا في الحواضر في الإسلامية فضلا عن انتشارها في الطرق المؤدية الى هذه الحواضر وغيرها من المدن الإسلامية.

هنالك خبر يقول إن الخانات ممتدة في العراق من مدينة البصرة مرورا بالديوانية ووصولا إلى النجف ثم كربلاء والى الإسكندرية ثم بغداد إلى خان بني سعد ومنه باتجاه الأراضي الإيرانية وما يؤكد هذا الخبر كثرة الزوار الإيرانيين الذين يقصدون العتبات المقدسة في العراق والذين لابد لهم من مأوى الذي يستريحون فيه من عناء الطريق استعدادا لرحلة جديدة تواصل الدرب باتجاه كربلاء الحسين عليه السلام.

طريق النجف..كربلاء:

لم يشهد طريق حدثنا به التاريخ حركة مستمرة مثلما شهده طريق النجف. كربلاء الذي ازدحم بالزائرين فهم يتنقلون بين وادي السلام حيث حامي الحمى وصي المصطفى صلى الله عليه وآله ووادي الطفوف كربلاء الشهادة والبطولة والتضحية عموما فقد كان استخدام هذا الطريق يتم بواسطتين:

أولهما: الدواب قبل ظهور وسائل النقل السريعة.

ثانيهما: المشي على الأقدام وكان لهذا الاستخدام وقعا خاصا بالنفوس حتى أصبحت هذه الحالة من مراسم زيارة الأربعين التي من خلالها تزحف الناس نحو كربلاء المقدسة.

ولما حاز هذا الطريق مثل هذه الحركة النشيطة والفضل الجسيم فقد استقرت الفكرة على بناء منازل فيه وكما ذكرنا وتشير الدراسات التاريخية إلى ان اول الخانات كان يدعى بـ(خان جذعان)، وهو يقع الى الشرق من خان المصلى على يسار الذاهب من النجف الى كربلاء ذكره الرحالة (الو اموسيل) عام ١٩١٢م واشار اليه بقوله: (تقع شرقي خان المصلى قلعة درويش وهو موقع غير بعيد عن خان جذعان وتليل الذيب).والظاهر أن خان جذعان كان وحده بين المدينتين(عندما بنيت الخانات الثلاثة هجر وقد زحفت إليه رمال الصحراء فصار رابيه).

وقد زرناه فلم نلحظ أي اثر دال عليه سوى تل ترابي بل لم نستدل على أطلال باقية اليوم واما استدلالنا عليه فقد تم عن طريق مزارع يعمل بالقرب منه أكد لنا موقعه والذي رآه مثبتا في دائرة الزراعة يقع بالقرب من المشتل الخاص بشركة صناعة الإطارات.

وجذعان هو عبد مملوك لأمير هندي يدعى (الراجا) كان قد بعثه في تجارة له في العراق والراجا هذا معروف بولائه لآل البيت عليهم السلام كما أن عبده جذعان أيضا من الموالين وعندما حصل جذعان على مبلغ ضخم من تجارته زار كربلاء ثم النجف ولما رأى بعد الطريق وحاجة المسافر للراحة فكر مليا في الأمر وعزم على بناء خان اثناء الطريق وكان له ما أراده ثم بني في صحن الإمام الحسين عليه السلام منارة مشهورة تدعى (منارة العبد) والتي اندرست معالمها هي الأخرى.

خان المصلى (الربع):

يبعد (خان المصلى) عن مركز مدينة النجف الاشرف بمسافة اثني عشر ميلا حسب تحديد الرحالة (ليدي دراور) كما حدده الطريحي بقوله (خان المصلى الذي يبعد عن النجف عشرين كيلومترا) ويقع على يمين الذاهب من النجف الى كربلاء أما تاريخ بنائه ففيه أقوال فقد أشار الدكتور حسن الحكيم بقوله: (وقد تولى بناءه الحاج حسن بن الحاج احمد مرزة المتوفى عام(١٣٠٥هـ \\١٨٨٨م) وكان بدء البناء عام (١٣٠٤هـ) أي قبل وفاته بعام واحد وقد خصصت ثلث أمواله لبناء الخان فقد بلغت تكاليفه اثنتا عشرة ألف ليرة ذهبية عدا ثمن الأرض المحيطة بالخان على أساس تحوليها إلى مزارع لتأمين حاجة الساكنين هنالك وإطعام المسافرين من خضارها).

هذا الخان هو الأحدث حيث تظهر بعض الاواوين بصورة جيدة تبلغ مساحة الخانين معا عشرة دونمات واربعة اولك، المدخل الى الخان الثاني يقابل المدخل الرئيسي يحيط بالخان الثاني اواوين واسعة يتخللها ايوان كبير نصف دائري على الجهات الاربعة كما نلاحظ ابراجا اربعة عند كل زاوية من زوايا السور المحيط بالخان.

الاواوين المطلة على ساحة الخان يفصل بينهما حائط سميك بعرض متر واحد وفي اعلاه يتزايد سمكه ويتداخل مع الاخر لان الاواوين مقوسة كما يوجد على كل حائط محمل خشبي والظاهر ان هذا المحمل كان للمشعل الذي يضيء الخان ليلاً.

في كل جهة توجد تسعة اواوين يتوسط كل التسعة ايوان كبير ومتميز.

خان الحماد:

خان الحماد يقع في منتصف الطريق بين كربلاء والنجف هو اكبر الخانات واتقنها وقد بنتها اسرة آل اكبر البغدادية وعلى يد الحاج محمد صالح بن الحاج مصطفى كبة المتوفى سنة (١٢٨٧هـ\\ ١٨٧٠م) كما بنى الحاج محمد صالح خاناً في منطقة الاسكندية يدعى خان الوقف أوقفه لزائري العتبات المقدسة في العراق ثم زاد عليه العلامة الكبير الشيخ مرتضى الانصاري المتوفى عام(١٢٨١هـ - ١٨٦٤م) ومما يقارب هذا النص (خان الحماد بناه الحاج محمد صالح كبة البغدادي وبنى بجانبه الشيخ مرتضى الانصاري خانا ويحيط بالاثنين سور واحد وكل يدعى خان الحماد(.

مما تقدم يتبين لنا ان الخان هو عبارة هن مجمع من الخانات وكل خان سعى ببنائه محسن من المحسنين فالسيد بحر العلوم قدس سره والشيخ الانصاري قدس سره والحاج محمد صالح رحمه الله كل منهم بنى خانا يلتصق مع الخان الاخر اضافة الى ذلك وبعد رجوعنا الى الاشارة الاولى يبرز لدينا انه (انشأ في عهد الوالي العثماني سليمان ١١٨٩هـ) ويمكن ان يكون هذا الخان هو اول الخانات هكذا توالت الخانات في هذا المجمع على التعمير والترميم يطال الخانات السابقة عندما تستقر الفكرة على بناء خان جديد وهذا البناء يقرر نتيجة لزيادة في عدد الزائرين.

خان الربع:

ويمكن القول ان المنطقة التي تقع فيها هذا الخان بالقرب من البساتين الموصلة بين النجف وكربلاء كما يقع بالقرب منها فرع من نهر الفرات.

يطلق على خان النخيلة اسم خان الربع بالنسبة لأهالي كربلاء حيث ان موقعه يمثل ربع المسافة المقطوعة من كربلاء إلى النجف (حيث يبعد خان النخيلة عن كربلاء واحد وعشرين كيلومتراً).

خان النخيلة الذي يتألف من ثلاثة خانات وست مقاه وآبار عذبة للماء وعدد من الأكواخ البسيطة من دون ان تكون فيه بيوت، اما عن الشخص الذي تبرع ببنائه فلدينا رأيان:

الرأي الاول:(شيد خان النخيلة احد الهنود).

الرأي الثاني: (خان النخيلة يسمى خان الربع بنسبة القادم من كربلاء وقد بنته أسرة آل شمسة النجفية وتولت الإشراف عليه وترميمه وقد تعرض الآن للهدم).

عن موسوعة تاريخ كربلاء

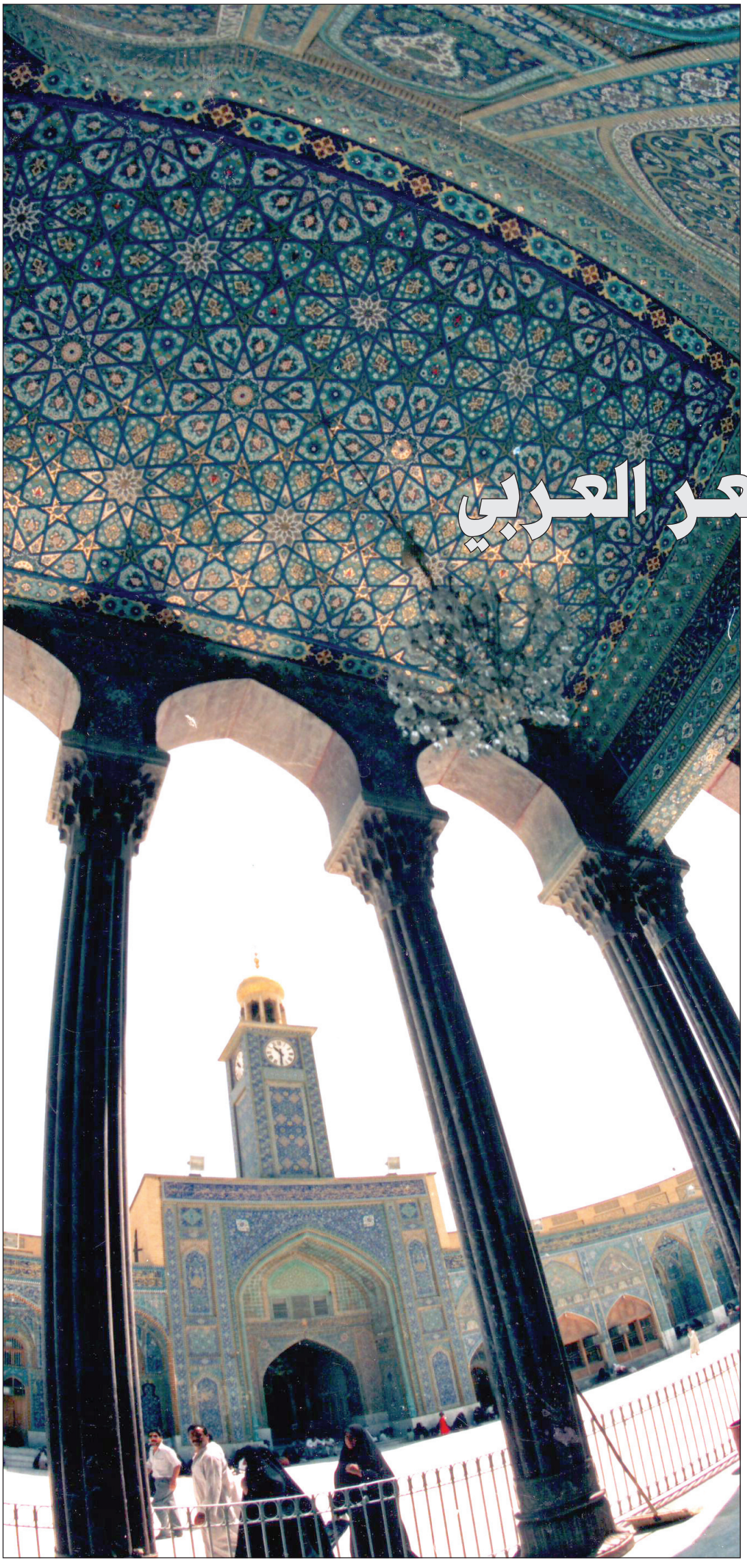

اكتسبت كربلاء أهميتها التاريخية منذ استشهاد الإمام الحسين وأهل بيته وصحبه (ع) عام 61هـ 680-م عندما رفع راية الرفض بوجه الظلم حتى سقط مضرَّجاً بدمائه بعد أن جسد أروع دروس الإباء والتضحية من أجل إحقاق الحق وإماتة الباطل. ومنذ ذلك اليوم أصبحت كربلاء نقطة مضيئة في تاريخ المسلمين وقبلة للثوار والأحرار ومزاراً لكل المسلمين يتوافدون عليها من مشارق الأرض ومغاربها. وكربلاء مدينة موغلة في القدم يعود تاريخها لآلاف السنين فقد أكدت المصادر على أن كربلاء كانت تستقطب الكثير من الأقوام على مدى التاريخ لخصوبة تربتها وعذوبة مائها فازدهرت على عهدالكلدانيين والتنوخيين واللخميين والمناذرة وقد اختلف المؤرخون في أصل تسميتها فمنهم من قال بأعجمية هذا الأسم بنسبته الى السامية والآرامية والبابلية ومنهم من أرجعه الى أصول عربية وهذا الموضوع يحتاج الى شرح مطول لسنا بصدده. أما الروايات والأحاديث في فضل كربلاء وتربتها وفضل زيارة الإمام الحسين (ع) فهي كثيرة جداً تضيق بها الكتب الكبيرة.

كربلاء... في الشعر العربي

حيدر ناصر

أما في الشعر فقد هزت كربلاء ضمائر الشعراء وأججت مشاعرهم منذ أن شهدت أرضها أروع ملاحم الإباء وأسماها وتجسدت على ثراها أنبل المواقف الانسانية وأسماها وخالطت تربتها أطهر الدماء وأزكاها فأستلهموا المعاني السامية والمبادئ العظيمة التي أصبحت شعاراً لكل انسان يرفض الظلم والطغيان وينشد الحرية والكرامة. ولو أخذنا هذا الموضوع بالاحصاء لضاقت به أضخم المجلدات وأوسعها لكثرة الشعراء الذين تناولوا ملحمة كربلاء في أشعارهم على مدى عصور التاريخ لذا سنقتصر على بعض الشعراء وتقديم المقدار الكافي من الشعر الذي يفي بالغرض ويكوّن فكرة كاملة عن النهج الذي اختطه ا لشعراء في الاستلهام من كربلاء التضحية والشهادة.

في حذونا لمنهج السبق الزمني لذكر كربلاء في الشعر العربي، وجدنا مصدرين تعرضا لذكر كربلاء قبل استشهاد الإمام الحسين (ع)، الأول ما رواه الطبري في حوادث سنة ١٢ للهجرة في غزوة خالد بن الوليد للعراق ونزوله عند فتحة الحيرة كربلاء فقال رجل من أشجع في ذلك:

لقد حُبست في (كربلاء) مطيتي وفي العين
حتى عاد غثّاً سمينها.. الخ

أما المصدر الثاني فقد ذكره أبو الفرج الاصفهاني ج١٢ ص٦٣ وياقوت الحموي في معجم البلدان في (كربلاء) وهو قول معن بن أوس المزني من مخضرمي الجاهلية والإسلام من قصيدة طويلة:

إذا هي حلت (كربلاء) فلعلعا
فجوز العذيبَ دونها فالنوائحا
فبانت ناها من نواك فطاوعت
مع الشانئين الشائنات الكواشحا
توهمت ربعاً بالمعبّر واضحاً
أبت قرّناه اليوم إلا تراوحا.. الخ

ومع عدم الترجيح في تقدم الشعر الأول على الثاني في السبق الزمني أو بالعكس يبقى هذان القولان هما من أقدم الشعر الذي ذكرت فيه كربلاء في الأدب العربي قبل استشهاد الإمام الحسين (ع) ثم تبدأ مرحلة جديدة لكربلاء مع الشعر بعد أن تشرفت بالأجساد الطاهرة لأهل البيت (ع) وامتزجت تربتها بدمائهم الزكية، رحلة الشعر المعطر بأريج الشهادة وعبق الإباء، وكان من الطبيعي أن يكون لهذا الاسم وقع في نفوس أفراد من عائلة البيت النبوي مثل السيدة زينب (ع) والسيدة سكينة والسيدة رباب زوجة الإمام الحسين (ع) التي روي أنها – اي الرباب – قد أنشدت هذين البيتين عندما أخذت رأس الحسين وقبلته ووضعته في حجرها؟

واحسينا فلا نسيت حسيناً
قصدته أسنة الأعداء
غادروه (بكربلاء) صريعاً
لاسقى الغيث جانبي (كربلاء)

وكانت هذه السيدة الجليلة لا تهدأ ليلاً ولانهاراً من البكاء على الحسين ولم تستظل تحت سقف حتى ماتت بعد سنة من حادثة كربلاء، وذكر أبو الفرج الاصفهاني في الأغاني ج١٦ ص١٤٢ عن الرباب أنها: (خطبت بعد استشهاد الحسين (ع) فأبت وقالت: ماكنت لأتخذ حُماً بعد ابن رسول الله ثم قالت من أبيات:

إن الذي كان نوراً يُستضاء به (بكربلاء)
قتيلاً غير مدفونِ

×××

والله لا أبتغي صهراً بصهركم
حتى أغيّب بين الرمل والطين

وجاء في المجالس السنية أن بشر بن حذلمَ كان شاعراً وحينما وصل ركب الأسارى والسبايا الى المدينة المنورة قال له الإمام زين العابدين: أدخل المدينة وأنعَ الحسين فلما بلغ بشر مسجد النبي صاح:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها
قتل الحسين فأدمعي مدرارُ
الجسم منه (بكربلاء) مضرّج
والرأس منه على القناة يدارُ

وفي الآمالي للشيخ المفيد ص٣٢٤ وتذكرة الخواص ٢٤٢: (أن عقبة بن عمر العبسي أو السهمي كان أول من ناح على الحسين ورثاه بقصيدة) ندرج منها الأبيات التي تتعلق بالموضوع:

مررت على قبر الحسين (بكربلا)
ويسعد عيني دمعها وزفيرها

×××

سلام على أهل القبور (بكربلا)
وقل لها مني سلام يزورها

وفي كتاب (نهضة الحسين) ص١٥٢ نقلاً

عن المجالس السنية: أن ابن الهبارية الشاعر مر بعد سليمان ابن قتة العدوي بكربلاء فجلس عند القبر وقال:

أحسين والمبعوثِ جدّك بالهدى
قسماً يكون الحق عنه مسائلي
لو كنت شاهد (كربلا) لبذلت
في تنفيس كربك جهد بذل الباذل
وسقيت حدّ السيفِ من أعدائكم
علاً وحدّ السمهري الذابل

أما مهيار الديلمي فهو عندما يرثي الحسين (ع) لا ينسى أن يضمّن مرثيته (كربلاء):

بآل علي صروف الزمان
بسطن لساني لذم الصروفِ
وليس صديقي غير الحزين
ليوم الحسين وغير الأسوفِ
هو الغصن كان كمينا
فهب لدى (كربلاء) بريح عصوفِ

كما لم تخل التائية الخالدة لدعبل الخزاعيَ والتي تناقلتها جميع كتب التاريخ وأسفار الأدب وعدتها من أبلغ القصائد رثاء وفجيعة وحزنا من ذكر (كربلاء) وكان دعبل قد أنشدها بحضور الإمام الرضا (ع) فبكى الإمام حينما أنشدها دعبل وبكت النسوة والاطفار ومازالت هذه القصيدة تتلى الى اليوم عبر المنابر، يقول دعبل في قصيدته:

نفوس لدى النهرين من أرض (كربلا)
معرّسهم فيها بشط فرات

فذكر كربلاء كان يهيّج أحزان الأئمة ويستدر دموعهم عندما يستذكرون قتل الحسين (ع)، وفي (اقناع اللائم) ص١٥٦ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٢٨٦: (أن جعفر بن عفان وهو من أصحاب الإمام الصادق (ع) وكان شاعراً فقال يرثي الحسين (ع) نقتطف من أبياته:

أذاقته حرّ القتل أمة جدّه
هفت نعلها في (كربلاء) وزلّتِ

وذكر الشيخ محمد رضا كاشف الغطاءَ في كتابه (الأنوار الحسينية) أن الشريف الرضي زار كربلاء سنة ٣٨٦ للهجرة وشاهد قوماً يبكون ويتضرعون عند قبر الحسين فهرول إليهم وأخذ يرثي الحسين (ع):

(كربلا) لازلت كرباً وبلا
مالقى عندك آل المصطفى
كم على تربك لما صرّعوا من دم
سال ومن دمع جرى

ويقول أبو تمام حبيب بن أوس الطائي:

والهاشميون استقلّت غيرهم
من (كربلاء) بأعظم الأوتار

أما سبط ابن التعاويذي فيقول:

سأهدي للأئمة من سلامي وغرّ مدائحي أزكى هديّ

كما يقول الصاحب بن عباد:

يا (كربلاء) تحدّثي ببلائنا
وبكربنا أن الحديث يعادُ

ولكربلاء حيز في شعر الملك الصالح طلائع بن رزيك نختار منه هذه الأبيات:

أبكيهم بدموع لو بها شربوا في (كربلاء)
كفتهم سورة الغلل

وعندما أمر بصَنع كسوة للحرمين الشريفين العلوي والحسيني وتحرى فيها أن تكون الستور في غاية الإبداع مع تطريز آيات قرآنية حولها أرسلها مع قصيدة نختار منها:

إذا عنّ لي تذكار سكان (كربلا)
فما لفؤادي في الضلوعِ سكونُ

ومنها أيضاً:

ألا كل رزء بعد يوم بـ(كربلا)
وبعدَ مصاب ابن النبي يهون

ويقول مهيار الديلمي:

فيوم السقيفة يابن النبي
طرّق يومك في (كربلا)

ويصور ديك الجن موقف الحسين (ع) وحيداً في (كربلاء) فيقول:

ونظرت سبط محمدٍ في (كربلا)
فرداً يعاني حزنه المكظوما

كما كان (لكربلاء) مكانة في الشعر الأندلسي فقد أورد ابن الخطيب قصيدة لأبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي المتوفى سنة ٥٩٨ للهجرة وذكر أن هذه القصيدة كانت مشهورة ومنها:

على (كربلا) لا أخلف الغيث (كربلا)
وإلا فإن الدمع أندى وأكرمُ

ومنها أيضاً:

وهم قطعوا رأس الحسين (بكربلا)
كأنهمُ قد أحسنوا حين أجرموا

ولأبي البقاء الرندي الشاعر الأندلسي المتوفى سنة ٦٨٤ للهجرة قصيدة طويلة في رثاء الحسين (ع) يقول فيها:

أبيت فلا يساعدني عزاءُ
إذا ذكر الحسين و (كربلاء)

ومن شعراء الأندلس الذين رثوا الحسين (ع) وسجلوا في أشعارهم (كربلاء) ابن هانئ الذي يقول:

وكأن به لم يبق وتراً ضائعاً
في (كربلاء) ولا دما مطلولاً

ومن هؤلاء الشعراء ابن ابي الخصال المتوفى سنة ٥٤٠ للهجرة يقول في أحدى مراثيه الحسينية:

إن في (كربلاء) كرباً مقيماً
فتَنَ المؤمنين والمؤمناتِ

وتستمر كربلاء تلهب وجدان الشعراءَ في كل العصور وفي كل زمان ومكان فلم تكن يوماً خاضعة لمرحلة معينة أو لبقعة محددة من الأرض فهي تمتد من الأزل الى الأزل تتغلغل الى النفوس تهز الأعماق البشرية فراح الشعراء يستمدون منها إلهامهم وينهلون من معينها الذي لا ينضب فاستحضرها الشعراء المعاصرون كما استحضرها القدماء يقول السيد حيدر الحلي:

فحشى ابن فاطمة بعرصة (كربلا)
بردتٌ غليلاً وهو كان رواءها

ويقول أيضاً:

سل بهم أما تسل (كربلا)
إذ واجهوا فيها البلا المكربا

ويقول أيضاً:

ولا كدم في (كربلا) طاح منكم
فذاك لأجفان الحمية أسهرا

ويقول عبد الباقي العمري:

حتى جرى (بكربلاء) ماجرى
وسال حتي بلغ السيل الزبى

وضمّن كربلاء تضمينا رائعاً في هذان البيتان:

أبدت سما وجوده أهلةً وأنجماً
من وقع سمرٍ وظُبا

وله أيضاً هذين البيتين:

وناحت بوادي (كربلاء)
وعدّدت عليهم وفي نادي الغريين غرّدت
وأجريت دمعاً لا يزال مسلسلا
على مادخى آل النبي (بكربلا)

أما عبد الغفار الأخرس فيقول:

وكرّ البلا في (كربلاء) فأصبحت
مواقف للبلوى ووقفاً على الضرّ

وللشيخ فليح الحسون المتوفى سنة ١٢٩٦ للهجرة من قصيدة له:

زهت (كربلا) لما حللتُ بأرضها
فكل بلاد لست من أهلها قفرُ

ويقول الشيخ الإمام محمد الحسين كاشف الغطاء:

ضربوا بعرصة (كربلا)
خيامهم فأطل كرب فوقها وبلاء
لله أي رزية في (كربلا) عظمت
فهانت دونها الأرزاء

×××

يا هل ترى مضراً درت ماذا
لقت في (كربلاء) أبناؤها وبناتها

ويقول الشيخ محمد علي كمونة:

فوا حزني إذ لم أكن يوم (كربلا)
قتيلاً ولم أبلغ هناك مآربي

×××

لله طائفة بعرصة (كربلا)
بفنائها طاف البقا بصفائها
عن (كربلا) وبلائها سل (كربلا)
سل (كربلا) عن كربها وبلائها

×××

بكر الغمام فجاء عرصة (كربلا)
أرضاً بها نور الهداية يغرب

أما السيد موسى الطالقاني فله في كربلاء هذان البيتان:

يا نازلين (بكربلا) كم مهجة
فيكم بفادحة الخطوب تصابُ
لستُ أنساه طريحاً في محانيِ (كربلا)
في الثرى يبقى ثلاثا عارياً منجدلا

ومثلهما للحاج هاشم الكعبي المتوفى سنة ١٢٣١ للهجرة حيث يقول:

لم يلف سبط محمد في (كربلا) يوماً بها
جرة الظهيرة عاري

×××

إن تكن (كربلا) فحيوا رباها وأطمئنوا بنا نشم ثراها

وللشاعر المصري مرسي شاكر طنطاوي هذا البيت:

في (كربلاء) مآتم لا تنتهي حتى يداهمنا الحمام صؤولا

وهذا البيت للشيخ إبراهيم الكفعمي:

فأني به جار الشهيد (بكربلا) سليل رسول الله خير مجير

وتغلغلت (كربلاء) الى قلب الشاعر المسيحي بولس سلامة الذي كتب ملحمته الخالدة (كربلاء) وملحمته (عيد الغدير) والمؤلفة من ثلاثة آلاف بيت فكانت دموعه تنساب مع كلماته وحين سئل عن سر بكائه أجاب: (إن ملحمة كربلاء هي ملحمتي الذاتية كفرد إنساني) يقول بولس سلامة:

يا ضياء الغروب في (كربلاء) دونك الشمس في الغروب ضياء

ونختم هذه الباقات من روائع الشعر العربي عن كربلاء بأبيات للعلامة الشيخ عبدالله العلايلي من قصيدته المطولة والرائعة في ذكرى الحسين و (كربلاء) حيث يقول:

فيا (كربلا) كهف الإباء مجسّماً
ويا (كربلا) كهف البطولة والعلا
ويا (كربلا) قد حزت نفساً نبيلة
وصُيِّرت بعدَ اليوم رمزاً الى السما
ويا (كربلا) قد صرتِ قبلة كل ذي
نفس تصاغر دون مبدئها الدُنا
ويا (كربلا) قد حزت مجداً مؤثلاً
وحزتِ فخاراً ينقضي دونه المدى

صورة نادرة لعبد الكريم قاسم يقف امام مرقد الامام الحسين (ع) في كربلاء

ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير : علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي ـ رفعت عبد الرزاق
التصميم : نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون